حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

لقطة نظري

حنطة – السنة الثالثة

العدد ١٤ – آذار ٢٠١٤

حكاية اسمها اليرموك .. أنس حسان

الحصار كأداة للحرب .. أحمد عيساوي

أين اختفت وثائق القصر العدلي في حلب..
ليندا بلال

الدفاع المدني في بنش..جمال نجد

نورا الأمير على بيادر حنطة..
حوار ناجي الجرف

من مسائل الثورة السورية ..
مروان عبد الهادي

مجزرة حماة، درس للأسد حتى اليوم ..
ترجمة عمر الأمين

ثورة وبروليتاريا وشيوعيون..
مصطفى الجرف

من ذكريات الشعوب .. لقمان ديركي

الانسان وهو يتمرد على سلطة القدر..
علي سفر

عمل للفنان يوسف عبدلكي

إن الآراء الواردة في حنطة تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com

حكاية اسمها اليرموك

أنس الحسان

الملك المغربي محمد الخامس زار المخيم في العام ١٩٥٦، وتبرع بشراء منطقة من الأراضي لصالح سكان المخيم من اللاجئين، وأطلق عليها منطقة الخامس.

كان مخيم اليرموك الحاضنة الفلسطينية السورية للانتفاضة الثانية في الضفة، وعولج فيه جرحى الانتفاضة الفلسطينيون.

وصلت درجة الاستباحة حداً لا يوصف، وتم استخراج أسلاك الكهرباء المدكوكة في جدران المنازل، وحرقها وبيعها بالكيلو نحاساً خالصاً)

يقع مخيم اليرموك جنوبي العاصمة السورية دمشق، ويتصل مع الحجر الأسود والقدم ويلدا والتضامن والميدان ويتألف المخيم من شارعين رئيسين ينقسمان من مدخله في دوار الجسر إلى شارع فلسطين وصولاً إلى دوار ساحة فلسطين، وشارع اليرموك وصولاً إلى موقف التربة عند مقبرة الشهداء الثانية ويصل بين الشارعين مجموعة الأزقة والحارات الشعبية، بينما على يسار شارع فلسطين تمتد الأبنية والأزقة لتصل إلى قلب منطقة التضامن، وعلى يمين شارع اليرموك تمتد الأبنية والحارات الأكثر تنظيماً في منطقة شارع راما والمحكمة، وصولاً إلى شارع الثلاثين الذي يشكل المدخل الرئيس للحجر الأسود عن طريق سوق السيارات ومشحم عامر وصولاً إلى بلدية الحجر الأسود.ويمتد شارع الثلاثين قاسماً المخيم ومنطقة التقدم وصولاً إلى مدخل بلدة يلدا.

في أواسط القرن الفائت لم يكن المخيم كما كان قبل الثورة السورية والحرب التي ولدتها على الأراضي السورية حيث الأبنية الطينية التي لا تتوفر لها البنية التحتية المناسبة، من مياه، وكهرباء، وشوارع مزفتة، وصرف صحي، ومن المفيد ذكره أن الملك المغربي محمد الخامس زار المخيم في العام ١٩٥٦، وتبرع بشراء منطقة من الأراضي لصالح سكان المخيم من اللاجئين، وأطلق عليها منطقة الخامس، أقامت عليها وكالة غوث اللاجئين «**الأونروا**» مجموعة من المنشآت الخدمية، منها مستوصف الخامس، ومدارس، وملعب رياضي.

ومع الطفرة العمرانية التي اجتاحت مدينة دمشق في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، نهض المخيم على أكتاف أبنائه المهاجرين في الخليج وغيره من الدول، بالإضافة إلى بعض الاستثمارات التي وظفها بعض التجار السوريين، حيث قامت الأسواق التجارية مثل سوق شارع لوبية، وشارع صفد، وشارع اليرموك بمنطقة جامع الوسيم وما حولها (وسوق الإلكترونيات في شارع المدارس، وسوقي الخضار في جنب البلدية، وسوق التقدم جانب التقدم جانب التربة القديمة، حتى وصل في نهاية القرن إلى أن المخيم من المناطق التي لا تنام في دمشق، إذ تكتظ شوارعه وأسواقه بالسوريين والفلسطينيين.

عاش المخيم في العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين، وضعاً سياسياً ديمقراطياً، حيث كانت بدايته مع انتفاضة الأقصى في العام ٢٠٠٠، وحازت الانتفاضة على تعاطف عربي، وسوري كبير حتى أن عددا من جرحى هذه الانتفاضة زار المشافي السورية للعلاج، واستغل الإعلام السوري هذه الانتفاضة تظهيراً وتضامناً، وكان مخيم اليرموك الحاضنة الفلسطينية السورية للانتفاضة الثانية، كظهير خلفي في ما يمكن أن يقدمه هذا المخيم لأبناء هذه الانتفاضة وبقيت الحالة بين مد وجزر حتى جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول في العام ٢٠٠١، وبدا التحول الأمريكي والدولي لمحاربة الإرهاب، حيث استغل رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون حالة الارتباك الأمريكية، وقام باجتياح الضفة الغربية وحاصر مخيم جنين واجتاحه، وكذلك محاصرة المقاطعة (**مقر الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، حتى خروجه للعلاج في رحلته الأخيرة إلى باريس**).

طفل في مخيم اليرموك المحاصر

ورافق ذلك تكريس حركة حماس في مقدمة فصائل العمل الوطني الفلسطيني، واستقرار قياداتها في دمشق، وجزء كبير من كوادرها في المخيم.

استغلال النظام للوضع الفلسطيني:

مع انطلاقة الثورة السورية في ٢٠١١/٣/١٨،

بمدينة درعا مهد الثورة السورية، عمد الخطاب الرسمي السياسي للنظام إلى توجيه أصابع الاتهام للاجئين الفلسطينين، وفي مقدمتهم مخيما «**درعا**» و«**الرمل**» في مدينة اللاذقية، واستغل إمكانية توجيه الأنظار الإعلامية والأهلية لفتح المجال لدخول المنطقة العازلة في أراضي الجولان، رغم وجود قوات الفصل الدولية، واختراق الحدود والتوجه إلى القرى الجولانية المحتلة من قبل العدو الصهيوني، وشيع شهداء اليرموك في ملحمة فلسطينية خالصة، تحولت إلى مظاهرة ضد النظام السوري بعد أن أدرك اللاجئ الفلسطيني عملية التوظيف السياسي التي تهدف لإلهاء الإعلام العربي والدولي بهذا الحدث.

ويوم النكسة في الخامس من حزيران من العام ٢٠١١، ألغت الفصائل الخروج إلى الجولان، إلا أن الشباب الفلسطيني المتحمس جرى استغلاله من جديد عبر أداة فلسطينية – سورية هي «ياسر قشلق»، أحد السياسيين الفلسطينيين المتعاطفين مع النظام السوري، لكي يصل هؤلاء إلى الجولان في باصات محجوزة سلفاً، وجرى نقلهم عبر طرق فرعية حتى الوصول إلى ذات الأماكن التي تظاهر فيها الناس بها في الخامس من أيار من الشهر السابق، وكانت تحضيرات جيش الاحتلال الإسرائيلي مختلفة، حيث حصد العشرات من أبناء الشعب الفلسطيني اللاجئ شهداء على أرض الجولان السوري، وجاء يوم تشييعهم في المخيم عصر ٠٦-٠٦-٢٠١١ ، حيث تحولت جنازتهم إلى مواجهة ضد النظام السوري والقيادة العامة، ما أدى إلى ارتقاء شهداء جدد في المخيم نتيجة التوظيف والاستغلال السياسي للوضع القائم في مخيم اليرموك، وتوجهت الجماهير الغاضبة نحو مبنى الخالصة وحاصرته، وأحرقته انتقاماً منها لما اعتُبر رمزاً للنظام السوري، وهذا ما دفع القيادة العامة لتشكيل اللجان الشعبية في المخيم، وتسليحها ضد الكتائب الثورية في الحجر الأسود «**كتيبة صقور الجولان**» وفي يلدا «**أبابيل حوران**»، فقُصف المخيم نتيجة ذلك أكثر من مرة، وحاول النظام وحلفاؤه تحميل كتائب الجيش الحر مسؤولية ذلك، إلى أن جاء الاعتداء الخطير على أبناء المخيم في الشهر الثامن من العام ٢٠١٢،

أحد أزقة مخيم اليرموك المدمرة

وتم تشييع شهداء المخيم الاثني عشر، في جنازة رمزية مهيبة، بلغ عدد الحضور فيها أكثر من مئتي ألف متظاهر فلسطيني وسوري، وبعد المظاهرة بلغت الاشتباكات في المخيم حدا غير مسبوق، عبر تمركز دبابة مقابل مشفى فلسطين على تقاطع شارع اليرموك وامتداد شارع الثلاثين، ولم تطل هذه الفترة الزمنية حتى حسمت الكتائب أمرها ودخلت مخيم اليرموك بعد قصف طائرة الميغ لمسجد عبد القادر الحسيني، إذ جرى النزوح الكبير لأهالي مخيم اليرموك من فلسطينيين وسوريين، وتمكنت الفصائل الثورية من السيطرة على مخيم اليرموك، إلّا جزءاً صغيراً من مدخل التضامن على شارع فلسطين عند البلدية.

وحوصر المخيم من مدخله من جهة الميدان والزاهرة والتضامن حصاراً جزئياً.

استباحة البيوت

سلكت بعض العناصر المنحرفة عن خط الثورة، من كتائب «صقور الجولان» و«أبابيل حوران» سلوك شبيحة النظام، حيث قامت بسرقة و«تعفيش» العديد من بيوت مخيم اليرموك في مناطق سيطرتها الواسعة، وكان يجري نقل الكثير من الأثاث والأدوات الكهربائية والمنزلية بالإضافة إلى الطعام إلى مستودعات في الحجر الأسود ويلدا، وعلى الرغم من الشكاوي المتتالية التي أبداها الناشطون الفلسطينيون في المخيم لم يجر أي تحقيق أو تدقيق على هذا السلوك غير الأخلاقي من قبل عناصر هذين الفصليين، لكن عناصر جبهة النصرة وللحق، كما نقل العديد من النشطاء، لم تسلك ذات السلوك مع أهالي المخيم وأصحاب البيوت، وبالمقابل فإن المناطق من المخيم التي وقعت تحت سيطرة شبيحة النظام، وفي مقدمتها شارع نسرين شهدت الأفعال الأشنع والأخبث، حيث كان يتم تعهيد البناء كاملاً إلى تجار الأدوات المستعملة، بمبلغ من المال، على أن يتم نقله خلال فترة زمنية محددة وإخراجه خارج المنطقة.

ووصلت درجة الاستغابة والاستباحة حداً لا يوصف، إذ تم استخراج أسلاك الكهرباء المدكوكة في جدران المنازل، وحرقها وبيعها بالكيلو نحاساً خالصا لباعة الخبز اليابس والألمنيوم والنحاس.

هذا الواقع الجديد والمستحدث، دفع ما تبقى من سكان اليرموك إلى الخروج في مظاهرات ضد طرفي النزاع بعد التحول الخطير الذي جرى على أرض المخيم.

تشديد الحصار على المخيم

في الشهرين الأوائل من حصار مخيم اليرموك كان هناك بقايا مواد تموينية مخزنة لدى المحاصرين في المخيم، لكن هذه المواد بدأت بالنفاد شيئاً فشيئاً، وبدأ الجوع يطرق أبواب المخيم رويداً رويداً، وأضحت بورصة أسعار المواد الغذائية ترتفع خطوة خطوة حتى تطير محلقة في فضاء المخيم.

كل هذا والمقاتلون المرابطون على ثغور المخيم في منطقة الريجة وشارع الثلاثين ومنطقة البلدية،

صامدون دون تحقيق النظام وحلفائه من اللجان الشعبية المؤلفة من فصائل (الجبهة الشعبية– القيادة العامة، فتح الانتفاضة، جبهة النضال الشعبي– خالد عبد المجيد)، بالإضافة إلى مجموعة ماهر المؤذن، أي تقدم يذكر، وما زال الكثيرون يذكرون قناص جامع الحبيب المصطفى الذي يصطاد ضحاياه حتى ساحة البطيخة.

هذا الوضع جعل من تفخيخ الأبنية، وحفر الخنادق والأنفاق التي تصل إلى أبواب البنايات المدمرة، والتدشيم، وفتح الطلاقيات، هو العمل اليومي لكلا الطرفين المتقاتلين على بيوت وبنايات شارع راما، وكل منطقة الريجة خلف قسم الشرطة ومشفى الرحمة.

وأصبحت بنايات الـ ١٤ الميدانية مركزاً لانطلاق صواريخ (١٠٦، ١٠٧) ذات الأصوات العالية إلى جانب المدافع الثابتة والمتنقلة، ورشاش مضاد الطيران والدوشكا.

ومع تصاعد الحصار الخانق، بدأت تتحرك لجنة المصالحة داخل وخارج المخيم في محاولة لفك الحصار قبل الوصول إلى الموت جوعاً بشكل جماعي، لكن هذه المحاولات نسفتها اشتباكات الطرفين على أبواب الريجة، ولم ينتج عنها في أفضل الأحوال سوى هدنة طويلة الأجل، وبالتزامن مع اقتراب الموت جوعاً من أبناء المخيم تحركت لجنة المصالحة في أوائل العام الجاري، علها توفق في إدخال المساعدات الغذائية التي جهزتها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، وكانت محاولة الاثنين ٢٠١٤/٠١/١٣، حيث أطلقت النيران على القافلة وهي على مرمى حجر من حدود المخيم، مبددة الآمال ببداية نهاية المأساة، والموت الذي بدأ يحصد أرواح السوريين و الفلسطينيين اللاجئين، حيث فاضت أرواح **(مريم عبد الرحيم، ريم عبد العزيز، تيسير الطباع، وأحمد عبد المجيد محمد)** بين من فاضت أرواحهم إلى الباري عز وجل، فيما لجنة المصالحة وقوافل الإغاثة تمشي الهوينى في شوارع العاصمة المحيطة بالمخيم، بين طريق الكابلات، ومدخل المخيم من التضامن جانب شارع نسرين، وهكذا أصبح شبح الموت يسابق قوافل الإغاثة لحصد أرواح شهداء المخيم، بينما راح أبناء المخيم ينتظرون البطل المنتصر ما بين موت مشتهى وواقع مقيم.

القافلة العائدة كانت تضم ست شاحنات انطلقت من مقر الاونروا محملة بمساعدات تحوي (١٧٠٠) طرد غذائي يزن كل منها (٣٠) كلغ من المواد الغذائية تكفي الأسرة الواحدة عشرين يوماً، والمساعدات مقدمة من الأونروا و ١٤ فصيلاً فلسطينياً. وبالتوازي مع هذه الأوضاع انطلقت خارج سورية مجموعة فعاليات تضامنية مع سكان مخيم اليرموك والمخيمات السورية.

الإغاثة وسباق الموت

وبين الموت والإغاثة حصد ملاك الموت ست شهداء، قبل بدء دخول الإغاثة، ومع دخول المساعدات الغذائية يوم ٢٠١٤/٠١/١٨ حتى ٢٠١٤/٠١/٢٨، استمرت قوافل الموت حتى أضيف ٢٧ شهيداً جديداً، عرف منهم الشهيدة الرضيعة رهف جبلي، وما زالت عمليات التوزيع قائمة في ساحة الريجة، بعد (١٨٨) يوماً من الحصار، ومع مرور الأسبوع الأول من التوزيع بلغ عدد السلل الغذائية (١٣٨) سلة، وتم إخراج (١٠٢) حالة إنسانية صحية صعبة، ومعهم ٤٠ مرافقاً للعلاج خارج المخيم. وتشير المعلومات إلى تخطي أرقام شهداء المخيم بسبب الجوع أكثر من (٦٠) شهيداً.

وتتعاون أكثر من ثلاث مجموعات إغاثية في المخيم، أبرزها الهلال الأحمر السوري والفلسطيني، وهيئة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في سورية، والهيئة الخيرية لإغاثة اللاجئين، وحراس المخيمات والمستوصف الصحي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين– القيادة العامة.

وهكذا يمضي مخيم اليرموك أيامه بين الأمل بفك الحصار وخروج المسلحين، وإغاثة المحاصرين ومنع الموت من اغتيالهم، وعودة المهجرين والنازحين إليه علّه يضع اللبنة الأولى لعملية تحييد المخيمات الفلسطينية استراتيجيا، ومنها مخيم اليرموك، عن ما يجري في سورية من حرب طاحنة.

فهل تستطيع الحالة السياسية الفلسطينية الابتعاد عن النار السورية التي تحرق في طريقها للتغيير كل ما يمتد إليه لهيبها؟

عمل للفنان أنس سلامة

دوما ... ماذا حدث في المخازن حقاً؟

تحقيق: سمارة القوتلي

على أرض مدينة دوما المحررة قبل أكثر من سنة ومنذ تاريخ ٢٠١٢/١٠/٢٥ تفتقر مدينة دوما للكهرباء والماء والاتصالات ومعظم أنواع المستلزمات الخدمية والطبية والغذائية، إضافة لانقطاع التواصل بينها وبين العاصمة دمشق بسبب الحصار الذي تتعرض له البلدة.

يزداد عنف النظام الأسدي على هذه المدينة ويزداد الجوع في الوقت الذي يمارس فيه تجار الحروب الضغط الأكبر على من يقطن فيها.

وكان يسكن هذه المدينة ما يقارب المليون نسمة، لكن الأوضاع الآن تغيرت بعد معارك التحرير المتكررة، هذا وقد أغلق الطريق الإغاثي المؤدي إلى المدينة بعد سياسة التجويع التي اتبعها النظام في الآونة الأخيرة، وبالتالي حوصر في المدينة ما لا يقل عن ٤٠ ألف عائلة بحسب الإحصائية الأخيرة للمجلس المحلي، ونقلاً عنه فإن معظم أهالي البلدة يأكلون طحين الدواب أو ما يسمى «**العلف**» بديلاً عن الطحين الأبيض، واتخذوا الشعير في غالب الأحيان بديلاً عن البرغل والأرز.

تحتقن النفوس إلى جانب الحصار الأكبر المفروض على البلدة، منذ أول أيام عيد الأضحى والذي نتج عنه ردة الفعل الأخيرة لأكثر من ٤٠٠٠ مدني، والمتمثلة بهجوم المحاصرين على مستودعات ومخازن تابعة للواء الإسلام، طمعاً بلقمة تدرأ شبح الجوع عنهم وعن أطفالهم.

لكن العديد من كتائب الجيش الحر في دوما التابعة للواء الإسلام أو ما غيره، اعتبرت أن هذا الهجوم «**مسيس**» ومملىً من كتائب أخرى تحمل ثارات شخصية مع لواء الإسلام، مستغلين الجوع والحالة الاستثنائية التي يعيشها الشعب.

وحسب ما ورد على لسان بعض النشطاء الذين دعوا للتظاهرة، فلو أن الحصار كان مفروضاً على جميع الأهالي لآثر الناس السكوت، لكن معادلة الحصار غير متوازنة في الغوطة الشرقية، فهناك من يملؤون بطونهم وهناك من يموتون جوعاً.

تلك هي المفارقة التي كانت الدافع الوحيد لهجوم الأهالي على مستودعات الأطعمة، في بادئ الأمر لم يكن تكسير المستودعات ونهبها هو هدف التظاهرة، لكن تجاهل قيادات الجيش الحر لجوع الناس وشعاراتهم وهتافاتهم دفعهم لذلك في نهاية الأمر، حسب شهود عيان، فيما تبعهم عدد كبير من الناس بعد ما رأوا هذا الكم الهائل من اللحم والأرز وغيرها من المواد التي افتقدها الناس طويلاً.

قيل هنا نقلاً عن شهود عيان إن التظاهرة شعبية بامتياز، وقد كان فيها ما يقارب الستين بالمئة من النساء والأطفال الجياع.

وأوضح آخرون أنهم رأوا عناصر من الجيش الحر تنتمي لكتائب متعددة، قامت بتسهيل الأمر على المدنيين فبدؤوا الهجوم على تلك المستودعات، واستحوذوا على الأطعمة، وقد يكونوا بالفعل يعانون الجوع كباقي الناس، أو هم شاركوا المدنيين حقداً على لواء معين، أو انتصارا للمظلوم.

وفي رواية أخرى قال الناشط (ح.أ): «**وجود المسلحين في المظاهرة كان حماية للمدنيين فقط وليس أكثر من ذلك**».

لم تكن التظاهرة التي خرجت تهتف بشعارات الجوع هي الوحيدة، بل نظم النشطاء خلال الأسبوع ذاته أكثر من سبع مظاهرات تصرخ بالمطالب نفسها دون مجيب.

الناشط (ح.ع) يضيف قائلاً: «**تظاهرنا أمام جميع مستودعات المدينة خلال اليومين السابقين، لكن ما وجدناه تحديداً في المخازن التابعة للواء الإسلام كان أكبر مما تخيلناه فعلاً**». ويتابع: «**لهذا السبب كان حقدنا مضاعفا عليهم مقارنة بباقي الكيانات التي اقتحمنا مستودعاتها، يحتكرون الغاز، وادعوا لأكثر من ثلاثة أشهر بأن الغاز مفقود. يحتكرون الطحين والسكر والزيت والسمن وكل شيء**».

حي في مدينة دوما

وإلى ذلك، تضاربت الأنباء حول إطلاق النار على مدنيين يتظاهرون أمام مستودع خاص بالجبن واللبن، لأحد التجار المستقلين عن العمل العسكري في المدينة ذاتها، وقيل إن العناصر القائمة على حماية المستودع هم من قاموا بإطلاق النار على الناس، أو أن صاحب المستودع نفسه طلب مؤازرة من أحد الكتائب، خوفاً من هجوم مماثل لحوادث سابقة، بعد رفض المدنيين التوقف عن الهجوم على ذلك المخزن، ما دفعهم لإطلاق النار على أقدام الناس بغرض إبعادهم، حسب ما ورد على لسان بعض من استطلعنا شهاداتهم، فيما سقط على إثر الحادثة أربعة جرحى وأنباء غير مؤكدة عن قتيل.

وفي تبرير نقله شهود عيان على حادثة اقتحام المستودع، أن الأطعمة المخزنة تلك، تم تخزينها بسبب ظروف الحصار اضطراراً، وليس بإمكان العناصر المسلحة إخراجها دفعة واحدة للناس فينفذ ما لديهم بسرعة، لذلك اتبعوا سياسة التقتير درءاً لجوع مباغت، أما ما عدا ذلك من مواد أخرى من لوازم للأطفال وغيرها، فهي من غنائم عمليات عسكرية، أو هي مسروقات من لصوص تم سجنهم مع مسروقاتهم، لحين تقرير كيف سيتم التصرف بها.

وفي سياق آخر يوضح مجاهدو لواء الإسلام، أن ما تم نهبه من مستودعاتهم كان من حق أبناء الشهداء والمعتقلين والأيتام، وبهذه الطريقة العشوائية لم يأخذ المستحقون حقوقهم، فكان هنالك العديد ممن سَلبوا قوت من كانوا بحاجة هذه السّلال الغذائية، فيما يضيف آخرون من مقاتلي اللواء الذي هوجمت مستودعاته أن عددا كبيرا من الناس قاموا بإرجاع المواد الغذائية للمستودعات، بعد ما علموا أنها كانت من حق أبناء الشهداء والمعتقلين.

سوريا.. عن الثورة والحصار والصمود

غياث عبد العزيز

الحصار في اللغة العربية هو التضييق أو السجن، وحاصرَ فلان أحدهم، أي: ضيق عليه وأحاط به، أما في الحروب والعلوم العسكرية، فالحصار: هو أحد أهم التكتيكات المتبعة في الضغط على العدو، ويتم عن طريق تطويقه وقطع خطوط الإمداد عنه.

وبعودة سريعة إلى كتب التاريخ، نجد الحديث عن عدة حروب اتُّبع فيها أسلوب الحصار، كحصار مدينة «**عكا**» من قبل الصليبيين سنة (١١٨٩ م)، والذي استمر لمدة سنة وعشرة أشهر، وحصار حصن «**بابليون**» في مصر من قبل جيش عمرو بن العاص سنة (٦٤١ م) مدة سبعة أشهر، وحصار مدينة «**لينينجراد**» الروسية من قبل دول المحور سنة (١٩٤١م)، والذي دام عاماً ونصف العام، وحصار مدينة «**طروادة**» الذي ناهز عشر سنوات، وحصارات اخرى عديدة يذكرها التاريخ، على اختلاف جغرافيتها ونتائجها.

إلا أن التاريخ يغفل اليوم عن ذكر نظامٍ وضع وَصْفته الخاصة لتطوير مفهوم الحصار، وتفنن في تطبيق هذه الوصفة، محطماً الرقم القياسي بتسجيله أطول حصار في التاريخ تجاوز الاربعين عاماً، وقام بفرضه على شعبه منذ وصوله إلى سدة الحكم، وإن لم يأخذ هذا الحصار طابعاً عسكرياً لفترة طويلة، فقد تجاوز ذلك إلى الحصار الفكري والإقتصادي والثقافي، وجوانب كثيرة أخرى جعلت هم المواطن السوري الأول والاخير تأمين لقمة عيشه. ومع تعدد أسباب هذا النوع من الحصار، نستطيع القول أن المسبب واحد، ويتمثل في تلك القوة المسيطرة على الحكم، والتي عملت دون توقف على الإنفراد بالسلطة بعيداً عن تطلعات الشعب، وذلك من خلال خلق آلية معينة في المجتمع قادرة على توجيه تفكير الناس باتجاه معين، وإيصالهم إلى مرحلة تقبل الامور كما هي، بل واستحسانها ومديحها من قِبل الكثيرين.

يفسر زياد ماجد في كتابه «**سوريا الثورة اليتيمة**» نجاح النظام السوري في ترويض الحياة العامة بقدرته التدريجية على مصادرة الحيز العام

امرأة فلسطينية في ظل الحصار داخل مخيم اليرموك

ومساحات التعبير، وكل فرص التجمع والانتظام السياسي من خلال الاستيعاب أو الإقصاء.١

ولو أردنا البحث عن طرق الاستيعاب أو الإقصاء الذي تحدث عنه الكاتب، لوجدنا استراتيجية منظمة قام بوضعها النظام تهدف إلى التضييق على المثقفين والكتاب، تمثلت هذه الاستراتيجية في تأطير ومأسسة الثقافة والفكر في منظمات رقابية بأسماء أدبية لامعة، على سبيل المثال«**إتحاد الكتاب العرب**»و «**وزارة الثقافة**»، وبالتزامن مع وضع اقتصادي سيء فرضه النظام، جعل المواطن السوري بحاجة إلى خطة خمسية في حال أراد شراء كتاب يقرأه، وفي ظل وجود إعلام يتبنى نظريات النظام، وأحزاب تتحدث باسمه وبحسب مصالحه، إضافة إلى مناهج تعليمية متحجرة هي ذاتها منذ عشرات السنين، تجعل الطالب متلقياً فحسب دون أي مجال للتحليل والتفسير العلمي أو الأدبي، كل ذلك أدى إلى ازدياد التراجع الثقافي لدى نسبة كبيرة من افراد الشعب، يتحدث الكاتب عامر صالح في مقالة بعنوان «**علم نفس الثقافة ومناخ الاستبداد**»عن أن: (**الثقافة تنمي الضمير الحي لدى الأفراد، وهذا الضمير يصبح فيما بعد هو الرقيب على سلوكياتهم ومواقفهم**).٢

وانطلاقاً من هذا القول فإن العمل الممنهج من قبل النظام على الحد من المستوى الثقافي لدى نسبة كبيرة من أفراد الشعب، أدى إلى غياب الرقيب الإنساني الحقيقي، ليحل محله رقيب آخر هو الرقيب السلطوي، تمثّل بشكل أفرع أمن، عملت لأكثر من أربعين عاماً على خلق الهاجس اليومي لدى المواطنين، وفرض حصار نفسي كان كفيلاً بالوصول إلى حالة جمود في التفكير، فالحياة واحدة، والأفكار واحدة، والعلَم واحد، والحزب واحد، وقد تتعدد الآلهة لكن القائد واحد، وكل السلوكيات اليومية مبرمجة ومكررة وفق خوارزمية وضعها النظام، وأجبر المواطن على السير بناءً على معطياتها، فأصبح المواطن يعيش حالة (**روبوتية**)، مع حصول النظام على براءة اختراع رقابية على هذا الروبوت، وعدم حصوله على براءة إنسانية دون أدنى شك.

واليوم؛ بعد أن فك السوريون رموز هذه الخوارزمية، وقالوا كلمتهم، فإن الركائز القمعية التي أمعن النظام على مدى عقود في ترسيخها قد بدأت بالانهيار، وتجلت واضحة للعيان هشاشة هذا البنيان الأمني منذ أول صرخة تحدٍ كسرت أساطير ورموز الاستبداد في البلد، وحطّمت جدران الحصار التي فرضتها تلك الرموز منذ عقود، لتنطلق ثورة سورية ضد الظلم والاستبداد بكل أشكاله، ومع تسليم النظام بانتهاء صلاحية وصفاته القمعية والترهيبية، فقد عمل على فرض أسلوب جديد أخذ شكل الحصار الجغرافي، فوجد السوريون في الكثير من المناطق الثائرة أنفسهم يعيشون ظروفاً أبعد ما

تكون عن الإنسانية، في ظل فشل دولي وأممي فاضح في تأمين أبسط المستلزمات الحياتية لسكان هذه المناطق. وفي نفس الوقت، لا نستطيع عدم التحدث عن مناطق يحكم النظام حتى الآن سيطرته عليها، وبالرغم من ذلك فقد اتبع أسلوب الحواجز التي ينتشر عليها عناصر ما يسمى باللجان الشعبية أو جيش الدفاع الوطني، والذين منحوا صلاحيات جعلت منهم شكلاً من أشكال الترهيب الأمني واللصوصي، فعملوا على منع دخول البضائع إلى المدن والأسواق من دون أن يكون لهم (**في الطيب نصيب**)، وكل ذلك يتم بشكل سافر وعلني، بغية فرض وجودهم على الناس، وإيهامهم أن لقمة عيشهم هي منحة يتكرمون بها على الناس، لكن هؤلاء وأسيادهم نسوا أن السوريين المحاصرين اليوم قد حرموا من لقمة عيش عانوا لسنين طويلة في تأمينها، وذلك الأمر ولا شك سيكون كتابةً تاريخٍ جديد للصمود، تاريخ سيواجه السوريون في سطوره حصارهم هذا كما واجهوا من قبل أبشع حصار اقتصادي وفكري وثقافي فرضه نظام مستبد على شعبه، ونجحوا في كسر هذا الحصار.

هوامش:

١– سوريا الثورة اليتيمة ص ٢٢ – زياد ماجد – دار شرق الكتاب

٢– علم نفس الثقافة ومناخ الاستبداد – عامر صالح – الحوار المتمدن

الحصار كأداة حرب

أحمد عيساوي

يوماً بعد يوم تتزايد النداءات الإنسانية من منظمات وهيئات حقوقية للإسراع في تسوية عاجلة للصراع العسكري القائم في سوريا. الصراع الذي اتخذته السلطة الحاكمة ذريعة مباشرة لإطباق حصارها على عدد من المدن والمناطق التي سجّلت حضورها الواسع في دعوتها لإسقاط النظام منذ اليوم الأول لاندلاع الاحتجاجات في درعا.

على مر الأيام، مارس النظام السوري كل ما هو متاح وغير متاح لتقويض الثورة الشعبية ولم يتوان يوما عن محاولة تأطير الصراع العسكري وتحييد المدنيين عن النتائج الكارثية للمعارك التي يخوضها، في سعيه لتطويع كل مكنون وجودي يدخل في حسابات الرفض والقطع مع مسيرة «**الإصلاح**» التي أطلقها كرد «**إيجابي**» على مطالب المحتجين بالحرية والعدالة الإجتماعية.

أرست السلطة الإستبدادية في سوريا حقلاً مفهومياً ارتبط بشكل أو بآخر بثقافة الإلغاء وبات الإقصاء الفردي أو الجماعي يأخذ طابعاً حسّياً في ظل انعدام الصيغة الحقوقية للمحاسبة والمساءلة في مسالك السلطة–الدولة.

كانت المجزرة تعبيراً عن نقص حاد في القدرة على المواجهة عند النظام، لأنها أظهرت هشاشة تلقائية في ابتداع المبادرة السياسية لدى السلطة القائمة. وهذا ما يمكن عدّه نجاحاً واضحاً يضاف الى رصيد الجماهير المنتفضة، لأنها أجبرت المتلقّي على تغيير الحيلة الأمنية وأودت به إلى الحلّ الذي سيسرّع سقوطه.أصبحت المجزرة إطاراً عبثياً لجدليّة العدميّة/الوجود عند طرفيّ الصراع (**الشعب والنظام**)، وأسلوباً فاضحاً لزيف الإدعاءات السلطويّة بإمكانية الإصلاح. دخلت المجزرة زمن اللارجعة لأنها حكمت بمنطق الخاسر سياسياً وجرّت نظاماً ذا بنى معرفيّة مفككة وعقداً اجتماعياً هشاً إلى مكننتها لتتنقّل من درعا إلى الحولة واللطامنة وبابا عمرو والزبداني وحلفايا والمليحة، دون رادعٍ أخلاقي يكبح انجرافها الدموي. هذه القدرة على ممارسة الهمجية هي التي أتاحت للنظام استمراية البقاء في ظل إسناد محكم من أمن دنيوي وأبد ألوهي ما لبث أن أفلت من سطوة الخلود في يوتوبيا الثورة. والفعل أو الإصرار على الفعل الإجراميّ قابله إصرار على استكمال الحلم الجماعي.

سوريا صمود شعب

وبات مسرح المجزرة البنية الأكثر عرضة للإمتداد في تراتبية مكانية مأهولة بالرحيل.

تدرجّت المجزرة شيئاً فشيئاً لتأخذ إطارها المقنّن زماناً ومكاناً، وكان البحث عن أساليب جديدة ليس آخرها صواريخ السكود وبراميل الـ TNT هاجساً عند السلطة الحاكمة وأصبح الحصار الحل الأكثر ملاءمةً مع استراتيجية النظام في تعامله مع الأزمة.

خسرت القوات النظامية مدناً ومناطق شاسعة خاصة على حدود البلاد وفي أرياف المدن الكبرى مثل حمص وحلب ودرعا ودير الزور، وصولاً إالى الغوطتين الشرقية والغربية في الشام، وكانت الاستعاضة الفعلية عن هذه الخسارة لجوؤه الدنيء إلى حلين: الأول يعتمد على سياسة الأرض المحروقة وهو ما نشاهده بشكل

شبه يومي منذ قرابة الشهر في حلب وريفها، والثاني انتهاجه حصاراً صارخاً على مداخل المدن التي يتواجد فيها كتائب عسكرية.

في هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أنّ الحصار المفروض على الغوطة الشرقية وحمص ومخيم اليرموك يرافقه قصفٌ بالطيران والمدفعية على أحياء سكنية (**يعدها النظام ملجأ للمسلحين**)، أضف إلى ذلك، إنتشار الحواجز الأمنية داخل المدن التي لا تزال تسيطر عليها القوات الحكومية وشبيحتها، هذا ما يعني شيئاً واحداً فقط: لا إمكانية لحركة مدنية تكسر حاجز الحصار والجوع ولا فرصة لأي دينامية عسكرية في خلق مناخ يسهّل كسر شوكة النظام في المناطق الخاضعة للحصار.

يهدف النظام عبر سياسة تجويع الشعب وحصاره إلى ترجمة سياسة عقابية كان قد توعّد باعتمادها «**الأسد أو لا أحد، الأسد أو نحرق البلد**». هذه السياسة التي لا تفرّق بين طفل أو مسنّ أو امرأة أو رجل مسلّح.

الغاية الأولى التي دفعت النظام لفرض الحصار، هو سعيه لفك الإرتباط المعنوي للمحاصَرين مع الحالة الثورية المسلحة بحيث تصبح ردّات الفعل السلبية المنتظرة من البيئة الحاضنة سبيلاً لتقويض هيكلية البناء المدني–العسكري للثورة، البناء الذي يريده النظام غائبا، أو مهترئا في أسوأ الحالات، من أجل التدليل للرأي العام على صوابية خياره في حصار وضرب المدن والأرياف. وقد بدا جلياً في الحصار الذي فرضته القوات النظامية على معضمية الشام مثلاً: (**وهي منطقة طالها قصف الكيماوي في أغسطس الماضي**)، كيف كان السعي لخلق شريط حدودي أو منطقة عسكرية آمنة بعد تهجير المدنيين منها، من أجل بسط سيطرته المطلقة على أرض باتت خالية من البشر.

شهد حصار المنطقة الجنوبية لدمشق حتى الآن مأساة إنسانية كبيرة خاصة مع صم المجتمع الدولي آذانه عن كل هذا الموت والجوع والقتل اليومي. يسجّل تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش الأخير كيفية تعاطي النظام السوري مع الحالات السكنية والأبنية القائمة في مناطق الثورة بحيث لجأ إلى تدمير وحدات سكنية وتسويتها بالأرض بشكل كامل رغم غياب الأعمال العسكرية في تلك المساحات. سياسة العقاب الجماعي امتدّت لتطال كل بيئة حاضنة للثورة، ليلق سكانها الجوع والبرد وانعدام الرعاية الصحية ونقصاً كبيراً في الأدوية، خاصة أدوية الحالات المرضية الصعبة (**أمراض القلب والوباء الكبدي والضغط والسكريّ..**).

مخيم اليرموك ٢٠١٤

لا يكتفي النظام بفرض الحصار على المواطنين، لا بل يتعداه إلى تحميل المسؤولية الكاملة عن الحصار للمسلحين وهذا ما أصبح يعتمده في سوق مسرحية الحصار أمام الرأي العام العالمي. وللمفارقة، كان النظام ينكر على مدى أشهر مسؤوليته عن حصار مدينة حمص، لكن مع تقدم مفاوضات جنيف تم التوصّل إلى حل يقضي بسماح القوات النظامية بخروج المدنيين من المدينة، وهذا ما عدّه البعض دليلاً كافياً ليعرف العالم من يحاصر ومن يجوّع ومن يقتل.

في بسط آليات الحصار، لا يجب أن ننسى أنّ النظام بات يستغل الموضوع بشكل دنيء لأنه يعلم جيّدا أنّ الحملات الإغاثية والنداءات المتكررة ستفضي إلى إرسال قافلات إنسانية ومواد غذائية وصحية، لن يصل منها إلّا القليل وسيذهب القسم الأكبر كمخزون حرب وتموين للقوات النظامية والميليشيات التي تقاتل إلى جانبها.

حتى نهاية العائم الفائت، سجّلت تقارير منظمتي «**العفو الدولية**» و«**هيومن رايتس ووتش**» حوالي ٢٢٠٠ حالة موت بسبب الجوع والبرد ونقص الدواء، كما سجّل التقرير الأخير لمنظمة «**أطباء بلا حدود**» موت أكثر من ٩٥ طبيبا مختصا برصاص الأمن أو بالقصف، واعتقال حوالي ٧٠٠ طبيب، كما سجّل استشهاد ٦٦ صيدلانياً و٥٢ مسعفاً (**منهم ٢٣ في الهلال الأحمر السوري**) حتى شهر تشرين الأول من العام الفائت.

إنّ الحصار الخانق الذي يعاني منه الشعب السوري اليوم، يعدّ انتهاكاً لكل اتفاقيات حقوق الإنسان، ويتنافى بشكل قاطع مع المادة ١٤ من الباب الرابع لاتفاقية جنيف الاولى التي تنص على ما يلي: «**يجب حماية المنشآت التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة، حيث يُحظّر تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب القتال. ومن ثم يحظر، بناءً على ذلك، مهاجمة أو تدمير أو نقل أو تعطيل المنشآت والمواد التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة، مثل المواد الغذائية والمناطق الزراعية التي تنتجها والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وشبكاتها وأشغال الري**».

إنّ تجويع السكان المدنيين، كوسيلة من وسائل الحرب، محظور في كلا النزاعين الدولي والداخلي، وهو حظر نُصّ عليه صراحةً في كلا البروتوكولين الإضافيين لسنة ١٩٧٧ الملحقين باتفاقيات جنيف الأربع.

إننا نشهد اليوم امتهاناً واضحاً للكرامة الإنسانية، وإذلالاً متعمداً من نظام طاغية لشعبه، حاز عليه بترخيص وتفويض دولي كامل جراء صمت عالمي مخزي. العالم الذي يسعى اليوم لحل كل مشاكله الخلافية على حساب تجويع السوريين وحصارهم وقتلهم بشكل يومي بشتى الوسائل، بات عرضة للمساءلة أكثر فأكثر حول الإبادة التي يقف متفرجاً عليها سياسياً وحقوقياً وإنسانياً.

وحده الشعب السوري يموت اليوم، ووحده بكل آلامه ويُتْم ثورته وتكالب العالم عليه سينتصر من أجل كرامته أولا وكل هذه الكرامات المهدورة ثانيا.

عين العرب – كوباني

تحقيق: إيتانا، ينشر بالتعاون بين إيتانا ومجلة حنطة.

البعض يراه «ربيع» كوباني في العمل المدني. وانتقادات لسيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي على قطاع الخدمات العامة.
سيطرة الحزب الواحد على المدينة يسبب الهجرة إلى العراق وتركيا.

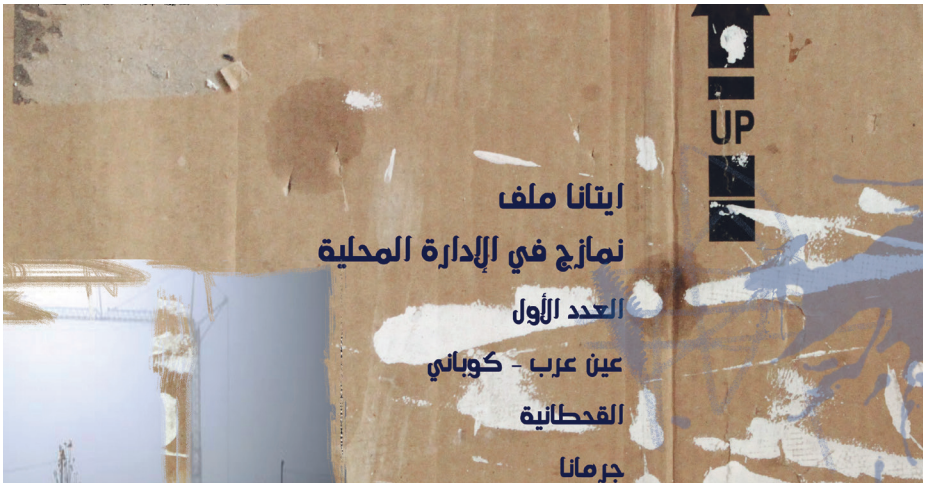

يرى البعض في كوباني أن التغيير الحاصل أدى إلى ازدهار في العمل المدني وظهور منظمات أهلية. بينما يؤكد البعض الآخر على خطورة سيطرة حزب واحد على أغلب النواحي الإدارية في المدينة، وحصوله على الغرامات والضرائب. هذه الورقة تحاول أن تسلط الضوء على مجال الخدمات العامة في كوباني/عين العرب.

الموقع الجغرافي:

كوباني، أو كما كانت تسمى في عهد نظام البعث «عين العرب» مدينة سورية تقع في أقصى الشمال، وتبعد عن حلب حوالي ١٦٥ كم جهة الشرق. مدينة تاريخية زاخرة بالأوابد الأثرية التي تعود لحضارات سورية الآرامية والآشورية. اهتم بها الانتداب الفرنسي في سوريا فخطوا شوارع للمدينة، ومايزال الكثير من المباني الفرنسية قائماً حتى اليوم، كالدوائر الحكومية الرسمية (السرايا).

تتألف كوباني من ٣٨٤ قرية، وعدد من النواحي الإدارية (صرين والشيوخ). وعدد سكانها وصل إلى المليون بعد عمليات النزوح الأخيرة، وعودة غالبية السكان من المدن إلى قراهم ومنازلهم، ويوجد فيها ٥٪ عرب، و٥٪ تركمان، و١٪ أرمن، ونتيجة الاستقرار الأمني نسبياً نزح إلى كوباني الكثير من سكان المناطق الداخلية. وخرجت المدينة عن سلطة النظام الحاكم في دمشق بتاريخ ٢٠١٣/٠٧/١٩، وبات حزب الاتحاد الديمقراطي هو الذي يسيطر ويدير المنطقة أمنياً، واقتصادياً، وعسكرياً.

فلاشة: تسيطر اللجان الشعبية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي على المدينة، وتخوض معارك على الجبهتين الشرقية والغربية مع قوات من الجيش الحر أو مجموعات راديكالية مثل دولة الإسلام في العراق والشام (داعش)

تحدّث محمود إسماعيل أحد سكان كوباني: (**الوضع الأمني مستقر نسبياً مع تهديدات متكررة من قبل عدد من الكتائب الراديكالية، (الدولة الإسلامية، أحرار الشام، غرباء الشام....)، التي تتواجد في محيط مدينة عين العرب من كلا الجهتين الشرقية والغربية، وهي ذات الكتائب التي كانت قد فرضت حصاراً مطبقاً على كامل مدينة عين العرب قبل شهر، وتم فكه من الجهة الغربية عبر المفاوضات، فيما لا تزال الأوضاع في حالة حرب من الجهة الشرقية**).

ويشرح أن منطقة كوباني مُدارة اليوم بالكامل من قبل مقاتلين أكراد، ٤٠٪ منهم قدموا من جبال (قنديل) في تركيا، وتعاونوا مع أبناء المنطقة. وهم يحاربون حالياً في تل أبيض ورأس العين على الجبهة الشرقية قوات داعش، وعلى الجبهة الغربية يحاربون من شهرين لواء التوحيد وحركة أحرار الشام).

يرفض (محمود) الآراء التي تؤكّد وجود علاقة بين قوات حزب الاتحاد الديمقراطي في كوباني وبين نظام الرئيس السوري بشار الأسد، ويقول: (لا علاقات مع نظام الأسد بالطبع. إنها مجرد شائعات. وسبق أن نشرنا عدة بيانات تعتبر نظام الأسد نظاماً مجرماً).

البعض يراه «ربيع كوباني المدني»:

يقول الناشط بكري: (لعل المتابع لطبيعة ما يحدث من حراك في كوباني بجوانبه كافة سواء أكان مدنياً أم ثورياً؛ لن يتوه مطلقاً عن تسميته بالربيع الكردي، رغم بروز ما يعكر صفو هذا الربيع أحياناً. شهدت كوباني نهضة مجتمعية من خلال الإعلان عن عدد من منظمات المجتمع المدني من إغاثة إلى ثقافة إلى إعلام إلى حريات وبناء قدرات إلى مشاريع خدمية لإعالة الأسر والأيتام وذوي الشهداء، وتكتل تلك الفعاليات جاء بما يمكن تسميته نواة إدارة وتنظيم للمجتمع).

مع نهاية عام ٢٠١٢، ظهرت مجموعة من التجمعات الأهلية النقابية، منها: محامو كوباني، مهندسو كوباني، مدرسو كوباني، معلمو كوباني، وتجمع الأطباء والصيادلة. يقول الناشط بكري: (كلها تجمعات مهنية تأسست على أسس وظيفية مدنية، بهدف لملمة الحراك الثوري المهني

وتأطيره بأسس نقابية، وبهدف جمع الجهود بأكاديمية وحقنها بجملة نشاطات ميدانية).

فلاشة: تشكّلت تجمعات ذات طبيعة نقابية، ومؤسسة (دم) ومركز التنمية والمجتمع المدني، وجمعية (حنين) التي تعنى بحقوق المرأة.

وعن الحراك الثقافي الذي تبلور بالإعلان عن تأسيس أول جمعية ثقافية مستقلة في كوباني (جمعية سبا الثقافية) في آذار ٢٠١٢، يقول كمال أحد أعضاء الجمعية: (نقيم ندوات ثقافية أو حفلات دعم للثورة والنازحين)، وقد أنتجت جمعية (سبا) عدداً من الأفلام القصيرة عن واقع (كوباني)، وأقامت ورشات عمل تدريبية في المجال الإعلامي لمجموعات شبابية ناشطة. وأصدرت جريدة باسمها (سبا)، ثم توقّفت الجمعية لتحل محلها مؤسسة (دم)، التي نظّمت ورشات تدريبية في العمل الأهلي، بدءاً من العمل المدني، والتطوعي، ومن ثم الإعلامي.

وهناك (مركز التنمية والمجتمع المدني)، الذي تقول إحدى الإداريات فيه: (المركز مؤسسة تنموية تهدف لرفع مستوى الوعي وتنظيم ورشات تدريب وتطوّع. ونتمنى أن نساهم في بناء وعي المجتمع السوري).

اهتمت كل من مؤسسة (دم)، و(مركز التنمية والمجتمع المدني)، بإقامة دورات تدريب مجتمعية وورشات بناء القدرات، والحريات، والسلم الأهلي، إضافة إلى موضوع العدالة الانتقالية، وحملات عن مخاطر السلاح. وتقول شمس شاهين: (هي منظمات مستقلة لا تتبع لأي مجلس أو تنظيم سياسي)، وفي مصادر الدعم والتمويل اعتبرت شاهين أن غالبية المؤسسات تُموّل بجهد ذاتي من الأعضاء بهدف تنفيذ نشاطاتها.

وفي العمل الحقوقي النسوي تأسست جمعية (حنين) لتعزيز قدرات المرأة، كجمعية تدافع عن حقوق المرأة، وهي جمعية مستقلة تأسست في كانون الأول ٢٠١٢.

كما ظهرت مطبوعات جديدة عديدة منها: جريدة فرات السياسية المستقلة، وجريدة سبا الثقافية المستقلة، ومجلة رامان الفكرية المستقلة.

«لا معدات كافية في المشافي لإجراء العمليات اللازمة»:

في الوضع الإغاثي تحدث رئيس جمعية (الأخوّة) الإغاثية عبد الرحمن مسلم عن الجهات الداعمة: (في الغالب تأتي من منظمات أهلية ومساعدات من المغتربين ومن الجمعيات في تركيا وكردستان العراق)، وذكر أسماء محددة كجمعية صلاح الدين، ووحدة تنسيق الدعم، وجمعية نور، وهيئة علماء المسلمين.

وعن الواقع التنظيمي للإغاثة قال عبد الرحمن: (هناك عدد من جمعيات الإغاثة «لجنة الإغاثة المستقلة، لجنة الأخوة، الهلال الأحمر، هيفا سور، مكتب الإغاثة في المجلس المحلي» إضافة إلى عدد من المنظمات المدنية التي تساعد في العمل الإغاثي، مع عدد من الأحزاب أو الشخصيات والمغتربين.. حيث يتم التوزيع أصولاً للنازحين والفقراء اعتماداً على نتائج جولات لجان المسح، وهي «مستقلّة» لا تتبع أي تنظيم أو مجلس)، مذكراً أخيراً بقلّة الدعم الإغاثي والعدد الهائل من النازحين الذي وصل إلى حدود نصف مليون في كوباني وحدها.

فلاشة: رغم تعدد الهيئات الإغاثية في كوباني، فإن حجم الدعم ضئيل، فالمدينة تفتقد إلى المشافي المجهّزة للعمليات اللازمة، وينقصها الدواء الذي لا يتوافر إلّا بأسعار عالية.

ويتحدث الدكتور كانيوار إسماعيل عن نقص في الأدوية وعدم القدرة على توفيرها واللجوء إلى البديل بسعر عالٍ جداً، ولا توجد مشافي ميدانية أو إغاثية أو معدات لإجراء العمليات الجراحية أو الإسعافية)، ولكنه يوضّح أيضاً أن لافتتاح بوابة عين العرب مع تركيا أثر مهم وإيجابي، ففي ظل انعدام المشافي المجهّزة في كوباني، يتم إسعاف الحالات الحرجة إلى تركيا عن طريق هذا المعبر الحدودي.

وعن الجهات الداعمة للجانب الطبي، قال الدكتور كانيوار: (لا توجد أية جهات رسمية وإنما تحصل بعض المشافي أو الهلال الأحمر على دعم من أشخاص ومغتربين).

وفي مجال العناية بذوي الاحتياجات الخاصة، أُنشئت جمعية (هيفي)، بهدف بناء قاعدة بيانات شاملة عن الإعاقة في كوباني وريفها، ومحاولة تبني مصابيها وتقديم الدعم المعنوي لهم.

(مركز العدالة والسلم الأهلي) يقوم بدور المحكمة:

وعن الوضع القضائي في كوباني؛ تحدّث المحامي محمد خضر عن تشكل تجمعين أساسيين للمحامين، هما: (تجمّع محامي كوباني)، و(مجلس المحامين في كوباني). أما الهيئة القضائية الأساسية التي تقوم بدور «المحكمة» فهي: مركز العدالة والسلم الأهلي.

وعن آلية عمل مركز العدالة والسلم الأهلي، يشرح المحامي خضر: (بعد أن يتم اعتقال أحد من قبل قوات الأسايش يُحقّق معه في مقر نيابة الأسايش، ومن ثم يحوّل المعتقل إلى السجن الاحتياط، ليتم التحقيق معه في مركز العدالة، ويحق له توكيل محامٍ).

وفي شرعية مركز العدالة قال: (يستمدّ مركز العدالة والسلم أحكامه من القانون السوري، مع تعديله بما يناسب المرحلة، بعد استشارة مجلس المحامين. أما مجلس القضاء فمؤلف من ١٥ قاضٍ، ويتم تسجيل كل الدعاوي وأرشفتها برقم قيد. وتتّخذ الأحكام بالاعتماد على نصوص القانون وبالتصويت).

فلاشة: يقوم مركز العدالة والسلم الأهلي بدور المحكمة. بينما يشكل محامو كوباني تجمعين أساسيين؛ تجمّع محامي كوباني، ومجلس المحامين في كوباني.

لا علاقة بين المجلس المحلي والعناصر المقاتلة في كوباني:

تأسّس المجلس المحلي في نيسان من العام الحالي، ويحدثنا عضو المجلس «مصطفى حسين» قائلاً: (اجتمع عدد من الشباب ورجال المجتمع ونشطاء الحراك الثوري لتشكيل مجلس محلي يكون قادراً على التواصل مع المحيط وتوفير الخدمات، ومن خلال لجنة تحضيرية تمت دعوة حوالي ٤٠ من الوجهاء والشخصيات التي تمثّل مكونات المنطقة، وتمّ انتخاب مجلس محلي مكوّن من ١٥ شخصاً، ومنهم تم انتخاب رئيس ونائب ومجلس تنفيذي ورؤساء مكاتب حسب التخصص، ليكون جزءاً من مجلس محافظة حلب الحرّة الذي يموّلنا بميزانية متجددة كل فترة)، وانبثقت عن المجلس مجموعة من اللجان نذكر منها: الإغاثة، الصحة، التعليم، الإعلام، الحقوق، الخدمات.

وعن العلاقة بين الكتائب المسلحة والمجلس المحلي، تحدّث عضو المجلس «مصطفى حسين»: (**لا توجد أية علاقة بيننا وبين قوات ال YPG، التي تسيطر على المنطقة والتي تتبع لحزب**

الاتحاد الديمقراطي، الذي بدوره يصادر كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية)، ويصرّ عضو المجلس المحلي على أن يتمتع المجلس المحلي بإمكانية القيام بعمله: (فنحن نواة لسلطة نظام ديمقراطي حر، وسننفذ مايتوجّب علينا من مهام خدمية، إلى جانب رعاية أمور الناس وتنظيم حياتهم، وتأمين احتياجاتهم. فنحن جهة منفذة ويجب أن تكون قادرة على تقديم الخدمات، والمجلس هو الذي يمثّل الحكومة المستقبلية والإدارة التي تدير المنطقة أو التي ستديرها، وتحفظ أمنها وتقدم الخدمات ريثما تترسخ أسس حكومة قادرة على إدارة الدولة).

فلاشة: يعمل المجلس المحلي بلا تواصل مع العناصر المقاتلة التي ترسم الوضع الأمني في المدينة. لذلك يفقد الكثير من فاعليته وسط الصراع العسكري بين الفصائل التي تدير المنطقة. ومن جهة أخرى ينتقد بوزان عمر أداء المجلس المحلي والواقع المعيشي في كوباني: (ارتفاع الأسعار، وعدم توفير الخدمات، وفرض الغرامات، ودفع الأهالي لأجور أي عمل كالنظافة أو إصلاح انقطاع التيار الكهربائي، وانقطاع المياه)، فالأهالي هم من يدفعون ثمن أي عطل، كل ذلك إشكاليات متعدّدة تضاف إلى واقعنا المتعب).

وعن عدم قدرة المجلس المحلي على تفعيل دوره، يقول محمود حسن عضو المكتب الخدمي: (المجلس المحلي لا يقدم الخدمات المطلوبة منه، وذلك نتيجة عدم قدرته على العمل وسط وضع عسكري معقد، ووسط الصراع السياسي بين الفصائل التي تدير المنقطة، فالاتحاد الديمقراطي هو الذي أخذ على عاتقه إدارة المنطقة ويرفض مشاركة المستقلين أو الأحزاب، إلا تلك الجهات التي تقبل الانضمام أو العمل وفق أجنداته وهذا ما يخلق قلقاً كبيراً لدى الناس).

ويضيف عوامل أخرى لضعف أداء المجلس المحلي: (كما أنه لا توجد لدى المجلس ميزانية كافية للقيام بالمطلوب منه، ولا توجد أية ضمانات أمنية للتحرك بسهولة، وأعضاؤه متطوعون وغير مفرغين وبالتالي لا يمكنه القيام بالمطلوب).

ظاهرة الهجرة من كوباني إلى العراق وتركيا:

يتحدّث عز الدين محمد، عضو المجلس الوطني الكردي سابقاً، عن سيطرة حزب واحد على كوباني قائلاً: (تُدار المدينة عسكرياً وأمنياً وقضائياً من قبل حزب واحد (حزب الاتحاد الديمقراطي ومؤسساته) وهو الذي يحتكر السلاح والسلطة والقضاء ولا يقبل التشاركية أو الإدارة المشتركة، وبالتالي فكل الإيرادات، والغرامات أو الأتاوي تذهب لخزينة الاتحاد الديمقراطي).

فلاشة: اللجان الشعبية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي تتسلّم أجور الإصلاح والخدمات العامة. كما أنها تسيطر على الجوانب المدنية والخدمية.

وعن ظاهرة دفع الضريبة إلى الحزب، يقول: **(سكان كوباني يدفعون أجور الإصلاح للجان الشعبية المرتبطة بالحزب، فإذا انقطعت أسلاك الكهرباء في حي ما فإن اللجان الشعبية تجمع الأموال من الناس وتقوم بالإصلاح، وغالباً ما تكون الأموال المجموعة أكثر من التكلفة)**، ويضيف: **(هذا بالإضافة إلى سيطرته على الجوانب المدنية والخدمية من خلال إيجاد تنظيمات تابعة له بصفة مستقلة)**.

وفي موضوع الهجرة من كوباني يؤكد جوان أحمد أن الأسباب الرئيسية تتعلق بالخوف من التنظيمات الراديكالية في محيط المدينة، وتسلّط حزب واحد على السلطة في المدينة، إضافة إلى أسباب اقتصادية تتعلق باحتياجات الناس وقضايا العمل.

من ذاكرة أبو محمود الطنبرجي

سرقوا رئتي

مأمون الجعبري

حيّنا المتراكم على نفسه يشبه بقايا جيفةٍ نهشتها كل الضواري، وبذات الوقت تراه كبكاء شمعةٍ هدهدتها الريح فسكبت دمعها بكل الجهات، حين تمر بين أزقته تزداد تجاعيد جبينك يوماً بيوم، تملأ رائحة العرق والصراخ كل تجاوف رأسك، هكذا نحن نشبهه عشوائيين كما سمي بالحي العشوائي.

بين هذا الركام المتماسك بقدرةٍ غيبية، بقيت فسحةٌ لم تطلها يد الحاجة، وحرستها الشائعات بأنها ملكيةٌ عامة، فجعلوا منها حديقةً نمت فيها بعض شجيراتٍ ونُصبت مراجيح، حين يمتطيها أطفالنا تصدر صهيلاً وأنيناً، احترفوا امتطاءها بكل لغاتها، غير عابئين بنشيجها الذي يصرّ الآذان. بضع مقاعد لم يبقى من خشبها إلّا مايجعلنا نترحم على سراويلنا إن سهونا عنها، لا، لاتبتئسوا، هذه الرائعة كانت جنتنا، وإن لم تصدقوا اسألوا ليلى مهجتي الصغيرة، تلك البنية الغضوبة التي كثيراً ماهربت أنا وهي من بيتي بعد أن يبلغ عراكها مع إخوتها عنان السماء، وحينها كنت أشير لليلى بغمزة من عيني تدرك أن أرض الأحلام تنتظرنا، فتركض أمامي لأتبعها وفي يدي كرسيٌّ صغير من الخشب الذي يرافقني رحمةً ببنطالي الذي يملك دلع الوحدانية وعراقة القدم، أجلس بينما ليلى تحتضن جنتها التي كانت تتمتع دوماً بغرابة الإدهاش.

في هذه الجنة أذهل ليلى إصرار نملةٍ تجر قوتها، وهنا عرفت ليلى معنى الاستسلام حين رأت صرصوراً قُلب على ظهره، بل كانت ليلى تعرف هوية الربيع من برعمٍ بدأ يطل برأسه من بين حنايا غصن، وفيها تواعدت ليلى مع فراشةٍ تاهت، كثيراً ما حاولت ليلى أن تقلد الدوري في مشيته حين راقبته في جنتها، حلّقت مراتٍ ومرات، وذهبت بعيداً في أحلامها حين امتطت تلك الأرجوحة، وحين نعود كانت ليلى تتضرع كي نبقى بضع دقائق أخرى.

ذات صباح غادر استيقظنا على هديرٍ وغبار، وحين خرجنا كانت مجموعةٌ من الوحوش الألية تقتل بيت أحلام ليلى بلا شفقة، وعند كل اقتلاعٍ كان الدمع ينسكب من عيني ليلى غزيراً، وكانت تنظر اليّ بسؤالٍ كنت أعجز عن أن أجيبها عنه، كانت تنتظر مني أن أهاجم الوحوش الذين يغتصبون طفولتها، ليستبدلوها بغرفة جباية، وكنت أبتلع بقايا كرامتي مشيحاً بوجهي مودعاً بقايا وطن.

أين اختفت وثائق القصر العدلي بحلب؟!

تحقيق: ليندا بلال

أثارت قضية تفجير مبنى القصر العدلي بحلب جدلاً واسعاً حول مصير الأوراق والملفات الهامة التي كان يحتويها، ففي حين اتهمت أطراف عدة كلاً من النظام والمعارضة بالتسبب باندثار آلاف الأضابير والوثائق الهامة التي كانت فيه، أكد عضو في اتحاد محامي حلب الأحرار وجود جزء من الملفات في أيد «أمينة» على حد وصفه، في حين يبقى الغموض سيد الموقف في الحرب التي يبدو أن «الحقيقة» أولى ضحاياها.

صبيحة السابع من شهر شباط ٢٠١٤، تبنت الجبهة الاسلامية بالاشتراك مع مجموعة فصائل أخرى عملية تفخيخ وتفجير مبنى القصر العدلي في حلب القديمة بعد أن حوله النظام إلى ثكنة عسكرية، في منطقة تشهد أعنف الاشتباكات بين الطرفين خلال سعي كل منهما للسيطرة على مدينة حلب القديمة.

يؤكد قيادي في الجبهة الاسلامية و(لواء التوحيد)، أن ما تم استهدافه هو مقرٌ كبير لقوات النظام المدعمة بميليشيات شيعية. ويتابع: «كنا على علم بخلو المكان من كل شيء إلا مرتزقة النظام الذين كنا نسمع أحاديثهم على القبضات اللاسلكية المخترقة من قبلنا».

ولفت إلى أن «العمل متوقف تماماً في القصر العدلي منذ الاشتباكات التي جرت في محيط القلعة في بدايات دخول الجيش الحر إلى حلب ووصوله إلى المدينة القديمة في رمضان من عام ٢٠١٢».

أسفر الهجوم عن مقتل نحو ٣٠ عنصراً من قوات النظام بعد تهدم البناء بأكمله على رأس من كان فيه، لكن الهجوم أسفرَ أيضا عن خسائر أكبر لا تأتي الأخبار على ذكرها، بحسب ما يقولُ محامٍ من هيئة محامي حلب الأحرار، تلك الوثائق تقدّر بالملايين، أو ربما المليارات.

ما هي تلك الأوراق، وما أهميتها؟

تكمن أهمية الملفات والوثائق التي يحتويها القصر العدلي في كونها غير مؤرشفة بشكل إلكتروني يضمن الحفاظ عليها، حسب ما تؤكد جهات حقوقية عدّة، ويؤمن على هذا القول عددٌ كبير من المحامين المطلعين على مفاصل عمل القصر العدلي بحلب قبل الثورة، وضياع تلك الملفات أو تلفها يعدُ إزهاقاً لحقوق ملكيات المواطنين ويهدد بفقدان الدعاوى القائمة لقيمتها، بالإضافة لأحكام الجنايات المتضمنة مدد الحكم للسجن المركزي في حلب، وغيرها من القضايا التي ما تزال عالقة.

القصر–العدلي بحلب عدسة حلب نيوز

لكن المحامي (محمود حمام) عضو هيئة محامي حلب الأحرار بيّن لنا أن «النظام قام بتوثيق غالبية الملفات المهمة، ويفترض أن تقوم المعارضة بفعل مماثل. لا بد أن يتم الإشراف على التوثيق من جهات أو منظمات حقوقية».

وأضاف: عملية التوثيق هي عملية وطنية ويجب أن يكون هناك برنامج متكامل وخاصة بخصوص السجلات العقارية والسجل المدني».

وكان لفقدان هذه الملفات الدور الاكبر في صعوبة تسوية أوضاع مساجين سجن حلب المركزي، ما تسبب بكارثة إنسانية ما تزال قائمة حتى اللحظة، وفقدان المزيد من الملفات سيتسبب كوارث مستقبلية أكثر وأكبر.

ونبّه «حمام» إلى نقطة مهمة، تتعلق بـ (ديموغرافية السكان) في حلب، مشيراً إلى أنها «يمكن أن تتغير أو تزوّر بدخول أشخاص غير سوريين وغير موثوقين في السجلات، وبالتالي احتمال معاملتهم لاحقا على أنهم سوريون».

ماهي الوثائق التي وصلت لمحاميّ الثورة، وأين هي؟

بقيت الملفّات والدعاوي ووثائق أُخرى حبيسة القصر العدلي لمدة تقارب السنة، بسبب عدم إمكانية الوصول للمكان واحتراق صالة التنفيذ المدني في القصر العدلي نتيجة الاشتباكات العنيفة، لكن موظفي القصر العدلي قاموا بنقل الأضابير المهمة تباعاً، بينما استطاع المحامون الذين انخرطوا في الثورة الحصول على وثائق من نوع آخر.

كانت ملفات محاكم (البداية والصلح المدني) في مبنى (المحاكم المدنية) في حي الشعار حتى لحظة دخول الجيش الحر للمدينة، وبعد تعرض الحي للقصف لاشتماله على مقرات للجيش الحر، تم وضع ما نجا من الملفات في مستودع مغلق في الطابق الأرضي.

وأكد المحامي عبد الرحمن العلّاف عضو هيئة محامي حلب الأحرار أن الوثائق التي تخص المحاكم المدنية (الصلح المدني والبداية المدنية ومحكمة التركات) تم الحصول عليها بالفعل، مشيراً إلى أن هيئة (محامي حلب الأحرار) وبالتعاون مع (الهيئة الشرعية بحلب) قاموا بنقل أضابير المبنى المدني من منطقة الشعار بحلب (المواصلات القديمة) لمنطقة هنانو في رمضان قبل الماضي، وتم الحفاظ عليها في أكياس (نايلون) تضمن سلامتها، ومن ثم وضعها في أقبية تحت المحاكم المدنية ومحاكم الصلح.

ويتابع عضو هيئة محامي حلب الأحرار: «ولأن المنطقة كانت وما تزال تشهد قصفاً جوياً أدى لاستهداف مكان هذه الملفات لأكثر من مرة،

تم نقلها مرة أخرى لمستودع في مساكن هنانو».

وفي سياق البحث عن الأوراق، أو ما تبقى منها، تبين أن الأوراق وصلت للمجلس الانتقالي الثوري الذي تم تأسيسه في وقت لاحق، ومن بعده وصلت الأضابير إلى مجلس محافظة حلب الحرة لفترة، قبل أن تصل أخيراً إلى المكتب القانوني في مجلس المدينة، حيث وضعت في مستودع لم يتم الإفصاح عنه، ولا يعرفهُ إلّا قليل.

وتخوف المحامي (محمود حمام) من المصير الغامض الذي يلف هذه الوثائق إذا كانت لم توثق، وقال: «هذه الملفات لا تمتلك دائرة القضاء نسخة إلكترونية منها، وجزءٌ من الوثائق التي حرّزت محفوظ لدينا، ولكن إلى متى؟» ويتابع: «هناك نسبة من المناطق خارج سيطرة النظام. من يحفظ حقوق هؤلاء بغياب الرقابة؟ يجب أن يعمل الجميع على توثيق هذه الملفات بشكل إلكتروني يضمن مصداقيتها أيضا».

ماذا عن وثائق القصر العدلي ؟

تشيرُ المعلومات التي تقاطعت من أكثر من جهة إلى أن النظام قام بنقل معظم الوثائق الهامة، لا سيما الجنائية منها، إلى مباي أخرى في مناطق واقعة تحت سيطرته، فيما يؤكد ناشطون على اطلاع بطبيعة المنطقة والاشتباكات التي تجري هناك (محيط القصر العدلي) أن نقل الملفات أمرٌ صعبٌ للغاية ويحتاج لمصفّحات تقي الموظفين شر القناصة المنتشرة في المكان وعلى سطح قلعة حلب الخاضعة لسيطرة قوات النظام».

المحامي حمام أوضح لنا أن النظام تحفّظ على الملفات والوثائق الهامة وأخذ كل الأضابير إلى محاكم موجودة في بناية العداس بحلب، لا سيما أضابير القضايا «التحقيقية والجنائية» التي كانت لها الأولوية بالنسبة للنظام، وكان هناك مراسلون لنقل هذه الملفات.

ويؤكد لنا كذلك وجود وثائق لدى محامي حلب الأحرار تم الحصول عليها من الشعّار، ويواصل شرحه معقبا: «أما بالنسبة للقصر العدلي (عند القلعة) الذي يضم محاكم الجنايات والمحاكم الجزائية والاستئناف والمحاكم الإدارية، فلم نستطع الوصول له، حيث حاولنا في بداية التحرير أن ندخل للمبنى لنحرز بعض الاضابير وفوجئنا بأن النظام قد صنع من بعضها متاريس وأحرق بعضها للتدفئة في الشتاء!».

الملفات التي تم نقلها في القصر العدلي

وتعرض القصر العدلي في وقت لاحق لسلسلة عمليات واشتباكات كان أولها تفجير جزء من مبنى قصر العدلي من طرف قسم تنفيذ النزع والمرآب الخاص بالنيابة العامة والقضاة في الجهة الشرقية القبلية للقصر العدلي، ومصير الأضابير هناك غير معروف حتى اللحظة.

وثائق ضائعة بين المحرر والمحتل:

«تم إحضار الملفات التنفيذية أيضا، والمتعلقة بقسم المصارف وقسم النزع لوقوع غرفها بعيداً عن صالة التنفيذ المدني التي احترقت بالكامل، كما تم إحضار بعض ملفات الجنايات وقسم من ملفات قضاة التحقيق، طبعاً مع فقدان العديد منها».

ورداً على سؤال عن كيفية استخراج أي وثيقة في المناطق المحررة أجاب المحامي (عبد الرحمن علاف): «لا يمكن إصدار أية وثيقة قانونية في المناطق المحررة حاليا، لكن الهيئة الشرعية توثق هذه التعاملات الهامة للناس من زواج وطلاق وعقود إيجار وغيرها».

وتابع: «أما من جهة النظام فيمكن أن يتم استخراج وثائق تسمى بدل فاقد عن الأوراق التي فقدت من الأضابير القانونية الخاصة بها، مما أدى لوجود سماسرة تعمل بين الطرفين وتأخذ لقاء ذلك مبالغ مالية كبيرة، والتعاون يكون بشكل سري غالباً».

ونوه (العلاف) إلى أن المبنى الموجود في بناية العداس التابع للنظام يحوي قضاة بالتناوب، مع العلم أن الكثير من الوثائق الموجودة عند النظام يمكن أن يكون تتمتها موجودة في المناطق المحررة!».

أهمية التوثيق:

تقدر قيمة الأوراق مجهولة المصير التي تحتويها أروقة القصر العدلي في حلب بعشرات أو مئات المليارات حسب مختصين، ومهما كانت المآخذ على أسلوب التقاضي فلا مبرر لهدر حقوق المواطنين التي تمس الجميع، بأقوال مثل «لا قيمة لهذه الملفات، والإنسان أهم من الأوراق».

وفي ذات السياق يختم المحامي (محمود حمام) حديثه لـ حنطة بالقول:

«مما لا شك فيه أن النظام قام بتوثيق غالبية الملفات الهامة، ويفترض أن تقوم المعارضة بفعل مماثل. لا بد من ذلك. وأن يتم الاشراف على التوثيق من جهات أو منظمات حقوقية، حيث أن عملية التوثيق هي عملية وطنية بالدرجة الأولى، وعلى المعنيين أن يعوا هذا».

الدفاع المدني في مدينة بنش.. تجربة طال مخاضها

تحقيق جمال نجد

بنش مدينة في محافظة إدلب، وهي أولى المدن التي ثارت في شمال سوريا ضد نظام الأسد، ساعدت كل المدن والقرى المحيطة في انطلاق أولى مظاهراتها، وعرفت بأنها نبض الثورة في شمال سوريا، وتعتبر هذه المدينة مرجعية لجميع القرى المحيطة بها وتأخذ طابعاً قيادياً يكسبها دوراً مؤثراً في المنطقة، كما تتنوع المشارب الفكرية في مدينة بنش، في حالة ديمقراطية فريدة.

ويقدر عدد سكان مدينة بنش بـ ٥٠ ألف نسمة قبل بدء الأعمال العسكرية، أما الآن وفي ظل القصف المتواصل فيقدر عدد القاطنين بـ ٢٠ ألف نسمة كونها قريبة من خطوط الجبهة والتماس مع النظام (القرميد– المسطومة — الفوعة).

وتقدر نسبة المباني المدمرة والمقصوفة بنحو ٥٪ إلى ١٠٪ على الأقل، وتوجد منظومة إسعاف سريعة متمثلة بشباب من الهلال الأحمر والدفاع المدني ومسعفي المشفى الميداني في بنش.

التقينا السيد حسام بدوي مدير دائرة الدفاع المدني في مدينة بنش، وكان مبادرا ورحبا في استقبالنا والإجابة عن استيضاحاتنا.

«أن تصل متأخرا خير من أن لاتصل أبدا». هكذا افتتح حديثه السيد حسام بدوي، وما قاله كان ردا على سؤالنا له عن هذه الدائرة المنشأة حديثاً. تابع قائلاً:

«تأخرنا في إنشاء هذه الدائرة الإنسانية المهمة لأسباب كثيرة، منها عدم توفر الأدوات اللازمة للعمل الميداني، بالإضافة إلى أن الوضع الإنساني السيء الذي يعانيه سكان المدينة، وخاصة حالات الهلع والخوف أثناء القصف اليومي سواء بالمدفعية الثقيلة أو البراميل المتفجرة، وطرق إسعاف المصابين من قبل أشخاص غير مدربين وبطرق خاطئة، كل هذا كان يزيد الأمر سوءاً، حيث أنّك وفي هذه الحالات بحاجة إلى شخص هادئ ومدرب جيداً ويمتلك المعلومات والخبرة الكافية للتعامل معها، ومن هنا كان إنشاء هذه الدائرة ضرورة ملحة.

فريق الدفاع المدني في ناحية بنش – خاص حنطة

وعن الصعوبات التي تعاني منها دائرة الدفاع المدني في بنش، قال: نحن لا نزال نعاني من نقص في العدد والأدوات الثقيلة، مثل الجرافة والرافعة وسيارة الإطفاء والشاحنات الصغيرة لحمل العدد الخفيفة التي تلزم في العمل الميداني، حيث إن شبابنا لا يزالون يستعملون دراجاتهم الآلية في التنقل وحمل هذه المعدات، كما أننا بحاجة ماسة إلى وسائل اتصال فيما بيننا في ظل عدم وجود أي وسائل في هذه الظروف الصعبة.

بالإضافة إلى أننا بحاجة ماسة إلى جهاز إنذار لتنبيه المدينة في حالات الطوارئ مثل القصف المدفعي أو تحليق الطيران الحربي لتنبيه الناس للنزول إلى الملاجئ. وأضاف مضيفنا: نقوم بتدريب المتطوعين على مختلف أعمال الدفاع المدني مثل إنقاذ المصابين، سواء بالقصف أو الحوادث أو الكوارث الطبيعية وإطفاء الحرائق عند نشوبها. فريقنا معد ومجهز للقيام بالإسعافات الأولية، قالها باعتداد مشوب باللوم.

حوالي ثلاثين متطوعاً يعملون ضمن الدائرة حسب ما أوضح السيد بدوي، وهم مستعدون بشكل دائم للعمل في حالات الطوارئ.

«قمنا بتخريج خمسة عشر متطوعاً في الدورة الأولى». «الدورة التأسيسية» حسب تعبيره، وقال أيضاً: الآن نقوم بتخريج الدفعة الثانية المؤلفة من خمسة عشر آخرين، وأقول متطوعين لأنهم شباب من المدينة تقدموا تطوعيّاً فعلاً للعمل معنا، حيث أننا لا نمتلك أي دعم مادي ولا نتقاضى أي مرتبات، ومعداتنا بسيطةٌ جداً، ونقوم بهذا العمل لأننا نراه واجب الإنسان نحو أخيه، ولا نستطيع ببساطة أن نقف مكتوفي الأيدي. من نقوم بإنقاذه أخي يعاني، أيا يكن.

وعن الدورة التدريبية إياها أردف: «مدتها سبعة أيام، تبدأ بثلاثة أيام يتم فيها إعطاء المتطوعين دروساً نظرية عن تنظيم الفريق وشرح آلية عمل المعدات التي سيتم استعمالها، بالإضافة إلى المعلومات النظرية عن كيفية إنقاذ المصابين، ثم يتم النزول إلى ميدان تدريبي لمدة يومين يتم فيهما تطبيق الدروس النظرية بشكل عملي ولعدة مرات، مثل كيفية إخراج شخص عالق تحت الأنقاض أو تدعيم مكان على وشك الانهيار، وآخر يومين نخصصهما للتدريب على الإسعافات الأولية».

وأشار السيد حسام بدوي إلى أن هذه الدائرة ستستمر في تدريب وتخريج المتطوعين، وستعمل المؤسسة جاهدة على نقل هذه التجربة إلى باقي المدن والقرى المحيطة.

«لا بد من وجود مثل هذه الدائرة، فكل المدن والقرى المحيطة تعاني نفس معاناة مدينتنا».

مهمة دائرة الدفاع المدني في بنش صعبة وشاقة ولا تتوقف عند حدود الإنقاذ والإسعاف، إنما لديهم مشاريع أخرى وصفها محدثنا بالتوعوية، قال: لدينا العديد من مشاريع التوعوية في مدينتنا، مثل التوعية لكيفية العمل في حال استعمال السلاح الكيميائي من قبل النظام، حيث سنقوم بطباعة منشورات حول هذا الموضوع، ونقوم بعمل جولات على المدارس التي لم تقصف وما زالت صالحة للتدريس لإحاطة الأطفال والطلاب بأشكال وخطورة القنابل العنقودية وغيرها، وهذا المشروع من أولوياتنا، حيث استشهد لدينا ثلاثة أطفال على الأقل عند لمسهم مخلفات قنابل عنقودية بسبب عدم معرفتهم بها وبخطورتها.

كل هذه الأنشطة، يتابع رئيس الدائرة، تتم بالتنسيق مع الهيئات الثورية الأخرى مثل تنسيقية مدينة بنش.

أين وحدة الدعم من جهود الدفاع المدني في بنش؟

«لم يقدموا سوى بعض المعدات البسيطة جداً مثل الجواريف وبعض الأدوات اللازمة لقص الحديد والإسمنت، بالإضافة إلى لباس موحد لكل طواقم الدفاع المدني التي تم تخريجها». هذا هو الحضور الذي تسجله وحدة تنسيق الدعم التابعة للائتلاف حسب ما يقول مسؤول الدفاع المدني في بنش.

الدعم المادي صفر تقريباً، يتابع بالقول، حيث توجد مثلاً مولدة كهربائية مقدمة من وحدة الدعم، ولكن لا أحد لا يسطيع تشغيلها بسبب عدم امتلاك ثمن الوقود اللازم لتشغيلها، ولم تنتبه وحدة تنسيق الدعم إلى أهمية تخصيص بدل مادي لتشغيلها إذا كانوا مخلصين في رغبتهم بالمساعدة.

هكذا يوضح السيد بدوي معاتبا وبحرقة.

وبنفس اللهجة يتابع:

«في الحقيقة لا يوجد ما يلوح في الأفق سوى وعود بعيدة المدى وغائمة، وكما تعلم فالمركز بحاجة ماسة إلى دعم راهن وثابت ومستدام، حيث إن مدينة بنش تعتبر خط تماس مع النظام ومنطقة معارك وجبهات.

ونسأله فيما إذا كانت وحدة تنسيق الدعم خصصت أي مرتبات لمركز الدفاع المدني

فينفي بصورة قاطعة، ويؤكد: نحن لا ننتظر أي رواتب وما نقوم به هو خدمة لوطننا ونابع من إنسانيتنا. نحن لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي أمام ما يحدث في بنش بشكل خاص وفي سوريا عموماً، وهذا لا يعني أننا نرفض فكرة تلقي عائد مادي يعيننا قليلاً، ولكن في حال كان هناك إمكانية فقط. نحن مستمرون في أداء ما علينا من واجب.

«نحن نقبل الدعم من أي جهة ونقبله شاكرين، لكن بشرط أن لا يتم التدخل في عملنا أو محاولة منحه وجهة نظر سياسية أو خلافية».

وبدورنا ذهبنا إلى من استطعنا من مقابلته من وحدة تنسيق الدعم، فأكد (معتصم) مسؤول ملف الدفاع المدني في وحدة تنسيق الدعم ACU، أن بنش جزء من مشروع يشمل محافظة إدلب كلها، «الجزء المحرر منها طبعا».

ويقول موضحاً: عندما بدأ الشباب العمل في بنش أرسلت وحدة تنسيق الدعم معدات بسيطة، «معدات حقيبة»، ممكن حملها، وقبضات لاسلكية، ووزعت لاحقا معدات متوسطة، ثم قاطعات حديد وآلات للحفر وكشافات إضاءة ليلية.

يتابع معتصم حديثه بثقة واندفاع:

قدمنا رافعة تحمل بين خمسة إلى عشرة أطنان، ولم يقدم هذا لبنش وحدها. بنش هي مركز رئيسي يتبع له أكثر من مكتب فرعي، هي منطقة وسط ومركز بالنسبة للكثير من القرى، مثل سراقب وتفتناز وسرمين.

لا يبدو محدثنا مباهياً، لكنه أكد أن الوحدة لا تتقاعس فيما يمكنها عمله.

«مبدئيا هناك سيارات سترسل، هناك خطة متكاملة، ونحن نحاول أن نراسل الجهات المانحة لدعم هذه الخطة، الدفاع المدني لا ينبغي أن ينحصر في فئة معينة من الشباب، حصلنا على وعود كثيرة، ونحن نتفاءل دائماً.

سألنا الرجل عما هيأته الوحدة من وسائل للتعامل مع هطول البراميل المتفجرة على المدينة بين آن وآخر، فأوضح لنا في أسى أن دور الدفاع المدني في مسألة البراميل يأتي بعد أن ينزل البرميل أو الصاروخ؛ «لكننا نعمل على مسألة تأمين الاحتياجات الأساسية حتى يكون المركز قائماً بذاته ومستعداً بشكل احترافي.

يتابع معتصم:

«أهم ما نسعى إليه الآن هو تأمين المعدات الثقيلة، من سيارات إطفاء وتركسات وشاحنات، ومن مدينة التدريب نسعى لتدريب أكبر عدد من الكوادر، لكن التدريب يأخذ حيزاً من الوقت والمادة، ربما أن مواصلة العمل هي الأسلوب الأجدى في مثل ظرفنا. بازدياد العمل تزداد الخبرة، ويزداد إدراك خصوصية كل حالة وطريقة التعامل معها.

وعن موضوع المرتبات التي قد تصرف أو كانت صرفت للدفاع المدني في بنش من قبل الوحدة قال إن «المعاشات» على حد تعبيره، وتأمين قطع الغيار، والمحروقات والوقود، والصيانة الدورية، تم قطع شوط جيد بها مع الجهات المانحة، إن ممولينا مقتنعون بأهمية دعم مجهود الدفاع المدني. «نحن نعدكم إن شاء الله، بخطة شاملة لمحافظة إدلب تقفز بالدفاع المدني إلى الأمام وتسهل أداءه وتعزز فرص إنقاذ الناس».

شباب الدفاع المدني يتدخلون في الوقت الذي يفر فيه الجميع. يذهبون إلى أكثر النقاط تعرضاً للقصف، وأكثرها تعرضاً لاحتمال تكراره، يرمون بأنفسهم في الحرائق لإنقاذ المدنيين. هكذا ختم مضيفنا كلامه مؤكداً على أهمية دور طواقم الدفاع المدني، ودعا كل من انشق عن النظام من الدفاع المدني أو الإطفاء، إلى العودة والمساهمة بخبراتهم. «**الخبرة مهمة جداً.. وحرام أرواح الشباب تروح بغلطة**»، هكذا؛ ببساطة توقف تحقيقنا عن حال الدفاع المدني في مدينة بنش. الكثير من الخراب، لكن مع الكثير من العمل، ومن الأمل أيضاً.

الدفاع المدني في حلب بين تحديات الدمار وضعف الإمكانيات

لقاء مع السيد (خالد حجو أبو الهدى) رئيس قطاع مساكن هنانو للدفاع المدني في حلب

تحقيق عماد نجم حسو

فريق الدفاع المدني في مدينة حلب – خاص حنطة.

١٥٠ شخصاً تم سحبهم من تحت الأنقاض، وبالتالي إنقاذهم من الموت المحتوم خلال الشهرين الماضيين في الجزء المحرر من حلب، وذلك بفضل ما يبذله عناصر الدفاع المدني من عمل دؤوب بغية إنقاذ العالقين تحت الأنقاض.

شهدت المدينة خلال الأشهر الأخيرة هجمة شرسة من قوات نظام الأسد حيث أصبحت البراميل كابوساً يومياً يأخذ حياة الكثيرين من ساكنيها. وأمام هذا الحجم الكبير من القصف وما يخلفه من ضحايا ومصابين ودمار في الأبنية، يظهر دور عناصر الدفاع المدني بشكل واضح وجلي وذلك في إنقاذ العالقين تحت الأنقاض وإسعاف المصابين.

إلا أن الكثير من المعوقات والصعوبات تقف عائقاً في وجه قيام عناصر الدفاع المدني بعملهم على أكمل وجه، وللاطلاع عن كثب على معاناة فرق الدفاع المدني في حلب، كان لنا اللقاء التالي مع السيد (خالد حجو أبو الهدى) أحد الأشخاص الذين ساهموا بتأسيس الدفاع المدني، ورئيس قطاع مساكن هنانو.

متى تأسس الدفاع المدني في حلب، وما هي أسباب نشوئه، وما هي الصعوبات التي واجهت تأسيسه؟

قام مجموعة من الشباب الثوريين المتطوعين بتأسيس جهاز الدفاع المدني في حلب منذ قرابة السنة، وذلك بعد تعرض منازل الكثيرين للهدم بفعل صاروخ السكود الذي ضرب منطقة كفر حمرة.

كان العمل مقتصرا على إسعاف المصابين جراء عمليات القصف التي يقوم بها النظام الأسدي حيث كانت حلب المحررة تفتقر لأصحاب الخبرة والاختصاص في كيفية سحب الجرحى والمصابين دون تعريضهم لأي أذى. لم يتبع فريق الدفاع المدني في تلك الفترة لأي جهة، مع أننا تواصلنا مع الكثيرين وحتى مع الهيئة الشرعية حينها، عملنا منذ البدء اعتماداً على التنظيم الذاتي وحس الالتزام الذي يتمتع به الشباب المتطوع، فوحّدنا زي فريق العمل، وتطور عملنا ليشمل البحث والإنقاذ والإسعاف.

كم هو عدد العناصر العاملين في جهاز الدفاع المدني، وما هي اختصاصات عملهم؟

يبلغ عدد العاملين في الدفاع المدني ٥٠ عنصراً ينقسمون إلى مركزين: هنانو والأنصاري.

كل مركز يتكون من ٢٥ عنصراً ينقسمون إلى ثلاث مجموعات.

كل مجموعة تغطي ٢٤ ساعة من العمل، ويتألف مركز الدفاع المدني من إداري مهمته معرفة أماكن القصف وتحريك الفريق مباشرة إليها، وعنصر إسعاف أولي للجرحى والمصابين، وعناصر إنقاذ العالقين تحت الأنقاض عن طريق خرق الأسقف وتكسير الجدران، وعنصر لتأمين سلامة الفريق أثناء عملهم حيث يقوم بتحذيرهم في حال وجود أي خطر على حياتهم، وتقني آليات وسيارات، وإعلامي يقوم بتغطية كل أعمال الإنقاذ وتوثيقها.

أستاذ خالد ما هي الأعمال التي يقوم بها فريق الدفاع المدني في حلب، بتفصيل أكثر؟

هناك الكثير من الأعمال التي يقوم بها عناصر الدفاع المدني في حالات الحروب والكوارث، كالحرائق والزلازل. أمّا في حلب فنتيجة لعمليات القصف الهمجية والواسعة لمناطق المدنيين ترتب علينا القيام بإجراء الإسعافات الأولية للمصابين جراء القصف ونقلهم إلى أقرب مركز طبي، البحث عن العالقين تحت الأنقاض، ومحاولة إنقاذ حياتهم دون تعريضهم لأي أذى، انتشال الجثث في أماكن القصف، إخلاء المنازل والمناطق من السكان في حال وجود أبنية آيلة للسقوط أو في حال تكرار القصف وذلك بغية الحفاظ على أرواحهم وتأمين سلامتهم والعمل على إيوائهم فوراً.

هل تلقى عناصر الفريق أي لدورات تدريبة في مجال الدفاع المدني؟

لقد خضع عدد قليل من عناصر الدفاع المدني في حلب لدورة تدريبية على طرق الإنقاذ في تركيا مع منظمة بريطانية تعنى بإعداد الكوادر الإغاثية وفرق الدفاع المدني، وذلك منذ أربعة أشهر، كذلك يخضع في هذه الأثناء ستة من عناصرنا لدورة تدريبية في أعمال الإنقاذ، لم تغطِّ هذه الدورات عدداً كافياً من عناصر الدفاع المدني، كما أننا نحتاج المزيد منها، وفي أكثر من سياق: طرق الإنقاذ، طرق الإخلاء والإجلاء، تجنب الكوارث وإزالة آثارها.. إلخ.

ما هي المعوقات والصعوبات التي تعانون منها على صعيد الأفراد والصعيد العملي، خصوصا بعد عمليات القصف الممنهجة بالبراميل المتفجرة على أحياء حلب المحررة؟

تعاني فرق الدفاع المدني في حلب على الصعيد العملي من نقص كبير بالمعدات اللوجستية.

أولاً: الآليات الثقيلة (بوك، تركس، رافعة.. إلخ) فلقد فارق الحياة الكثير من العالقين تحت الأنقاض وذلك لضعف قدرة عناصر الدفاع المدني من الوصول إليهم بسبب عدم وجود آليات لرفع الأسقف والجدران المنهارة، بالإضافة لعدم وجود سيارات نقل مناسبة للعناصر والمعدات حيث لا يوجد في مركز هنانو سوى سيارة صغيرة لنقل العناصر والمعدات إلى أماكن القصف، علما أن السيارة غير قادرة على نقل الاثنين معاً.

ثانياً: تفتقر فرق الدفاع المدني إلى المعدات المتوسطة كـ«البريسات» الهوائية والمقصات الكبيرة التي تستخدم في ثقب الجدران وتهديمها بهدف الوصول إلى الجثث والعالقين تحت الأبنية المهدمة.

وثالثاً: عدم وجود وسائل اتصال (قبضات لاسلكية، أجهزة خليوي.. إلخ) للتواصل بين فرق الدفاع المدني ومراكزها وبين الأفراد أثناء عمله. أما على الصعيد الفردي فنعاني من ضغط العمل الكبير، الذي نعتبره واجباً علينا، ولكن قلة عدد العاملين في الدفاع المدني يحمّل العناصر الموجودة عبئاً كبيراً، بالإضافة إلى ذلك نحن -عناصر الدفاع المدني- إلى حد الآن لا نعتبر موظفين. نُعامل على أننا متطوعون، حيث لا يوجد أي مقابل مادي ثابت، حتى أن أي مبلغ نستلمه يكون تحت بند المكافأة، مع أننا نتبع لمكتب الدفاع المدني لمجلس محافظة حلب الحرة.

ما هي المخاطر التي يتعرض لها عناصر الدفاع المدني أثناء قيامهم بعملهم؟

يتعرض عناصر الدفاع المدني للكثير من المخاطر يومياً، مخاطر تهدد حياتهم بالموت والإصابة. فنتيجة لعدم وجود الكثير من الآليات اللازمة في عملية إنقاذ الأهالي وحمايتهم من أي مخاطر، يجبَر عناصر الدفاع المدني على تسلق أعالي الأبنية لإزالة خطر الأسقف المعلقة والتي تهدد حياة الناس بشكل عام، وفي هذا خطر كبير على حياة العنصر في حال سقوطه أثناء التسلق، كما تعتبر مناطق عمل عناصر الدفاع المدني أكثر خطورة من المناطق الأخرى، وذلك للنهج الذي يتبعه النظام الفاسد في قصف المناطق التي قصفها مسبقاً، وأثناء القيام بعمليات الإسعاف وإجلاء الأهالي.

ما هي مطالب عناصر فريق الدفاع المدني في حلب، وما هي الرسالة التي توجهونها للعالم؟

مطالبنا تتلخص في حاجتنا كدفاع مدني للمعدات الثقيلة والمتوسطة، بالإضافة إلى أجهزة الاتصال والآليات التي تمكننا من القيام بعملنا على أكمل وجه وبشكل آمن وسليم، بالإضافة إلى رفد الفريق بمزيد من الدورات التدريبية في مجال الدفاع المدني، وذلك بهدف اكتساب الخبرة والمهارات التي تجعل من عملنا عملاً أكثر دقة وفائدة، كما نتمنى الاعتراف بنا كموظفين وتحديد مقابل مادي يؤمن العيش الكريم لنا ولعائلاتنا.

أخيراً نحن عناصر الدفاع المدني في حلب نطالب جميع الهيئات والمنظمات والمؤسسات المعنية في هذا المجال أن تعمل على تحسين واقع الدفاع المدني ودعمه بكل ما يلزم للقيام بعمله.

إن تجربة الدفاع المدني في حلب هي تجربة رائدة عمل عليها مجموعة من الشباب الثوري الذين شعروا بأن هناك حاجة لوجودهم في هذا الحقل، نتيجة عدم وجود هذا الجهاز الذي يعمل على إنقاذ حياة الآلاف ممن هدمت منازلهم فوق رؤوسهم، شباب عملوا منذ البدء بجد وإخلاص هادفين إلى إعادة الحياة للكثير من الناس. واجهتهم الكثير من الصعوبات وما زالوا يعانون منها، ويجب على كل من يستطيع تقديم المساعدة المبادرة إلى ذلك.

انتهى لقاؤنا بشكر الأستاذ (خالد حجو أبو الهدى) على شفافيته وصدقه، وتمنينا باسم حنطة، واقعاً أفضل له ولزملائه، إذ هم الجنود المجهولون على الأرض في مدينة حلب، جنود المعركة الأصعب: معركة أن تستمر الحياة..

فريق الدفاع المدني في مدينة حلب

لقاء خاص مع نائب رئيس الائتلاف الوطني نورا الأمير

حوار: ناجي الجرف

عملها الثوري بدأ في حمص من خلال مشاركتها بالمظاهرات في المدينة، التي أمست فيما بعد عاصمة الثورة السورية، مع مجموعة من رفاقها.
اعتقلت أثناء توجهها إلى محافظة حلب مع أدواتها الأعلامية بعد مراقبة شديدة وكمين محكم أدى الى بداية مشوار مع المعتقل استمر لمدة سبعة أشهر.
أمضت شهرها الأول منه في زنزانة منفردة، ومن ثم إلى مكان آخر يحتوي شقيقاتها في العذاب والحرية..
بعد الإفراج عنها وصلت إلى تركيا كمتطوعة لتدريب الإعلاميين الشباب بما تملكه من معرفة وخبرات، وانضمت إلى الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة في شهر أيار من عام ٢٠١٣.
وتم انتخابها في جلسة الهيئة العامة لمنصب نائب رئيس الائتلاف الوطني في كانون الثاني عام ٢٠١٤.

نورا الأمير. أنت دخلت في الائتلاف الوطني مع توسعته الأخيرة ممثلة قوى الحراك الثوري. حدثينا عن التوسعة وعن كتلة الحراك الثوري في الائتلاف الوطني.

نعم كانت هناك توسعتان متتاليتان في الائتلاف، أولاهما التي دخلت فيها الكتلة الديمقراطية بـ ١٣ عضوا و٨ أعضاء آخرين لتمثيل النساء والحراك الثوري، وكنت من بينهم، لتتلوها توسعة أخرى بـ ١٤عضوا عن الحراك الثوري و ١٥ عن هيئة الأركان.

للأسف لم تتكتل قوى الحراك الثوري لتشكل كتلة مستقلة كما الكتل الأخرى في الائتلاف، بل تماهى كثير من أعضائها مع كتل أخرى أو بقي البعض منفردا دون تكتل.

صغرى أعضاء الائتلاف اليوم تحجز كرسي نائب الرئيس. هل لهذه الجزئية دلالة ما في عمل المعارضة السورية يا ترى؟

قد يكون لهذا دلالات تخص كسر النمط التقليدي للعمل السياسي الذي طالما رسخ في الأذهان مقرونا بكبر السن أو شيء من هذا القبيل، أو لعله فرصة خجولة ليأخذ شباب الثورة بعد طول تغييب فرصة في التقدم في المشهد السياسي القيادي خاصة.

نورا الأمير: نائب رئيس الائتلاف الوطني المعارض

التصويت على مشاركة الائتلاف في جنيف٢ كان سريا، سؤالي لماذا لم يتحمل أعضاء الائتلاف علنية موقفهم في قرار مفصلي كهذا؟

لعل هذا يعكس الصراع الذي كان هاجس الكثيرين، لم يكن قرار الذهاب إلى جنيف بالقرار السهل، لا سيما بوجود كل ما كان يلف الوضع من غموض وقلق وضبابية نوعا ما في الرؤية، لعل هذا كله وأسبابا أخرى هي التي دفعت بعض الزملاء لطلب أن يكون التصويت سرياً.

ربما حجم المسؤولية يجر الكثيرين لئلا يكونوا بالجرأة الكافية لاتخاذ قرار وخوض مغامرة في المجهول.

بعد إعلان الائتلاف مشاركته في جنيف٢ انسحب المجلس الوطني من الائتلاف، علماً بأن المجلس الوطني يُعتبر الجسم الرئيسي في الائتلاف، كيف تصفين قرار الانسحاب هذا؟

كان بالنسبة لي على الأقل متوقعاً، فقد تردد هذا الموقف على لسان أكثر من شخصية من شخصياته لكن التوقيت هو الذي كان مفاجئاً.

أثناء مشاركة وفد الائتلاف في جنيف كان الفريق الإعلامي المرافق أقل من المستوى المرجو، كيف تم اختيار الإعلاميين المرافقين، ولماذا لم تتم الاستعانة بالإعلاميين المحترفين أصحاب الخبرة؟

الوقت لم يكن في صالحنا، فالقرار بحضور جنيف أتى قبل الافتتاح بمونترو بثلاثة أيام فقط، لم تكن كافية لإعداد فريق إعلامي منسجم وبخبرات مناسبة.

بعيداً عن أجواء السياسة وجنيف، دعينا نعدْ قليلا إلى نورا الناشطة الثورية التي اعتقلت بسبب نشاطها الثوري، كيف تنظرين اليوم إلى تجربة اعتقالك لدى النظام السوري؟ وماذا قدمت لك هذه التجربة؟

كلما قارنت تجربتي بالآلام التي تعرض لها معتقلو الحرية، وكلما قارنتها بتجارب النساء اللواتي تعرضن لأكثر أنواع التعذيب وحشية، خاصة بعد شهر حزيران عام ٢٠١٢، أجد أن ما حصل معي هو تقريبا لا شيء.

أضافت لي الكثير جدران السجن تلك.. تلك القيود علمتني أن الحرية أغلى من الحياة بحد ذاتها، وعلمتني أيضا كيف أن الجلاد يتهاوى جبروته أمام إصرار الإنسان الحر وصلابته في الحق. علمتني كيف أن الإرادة لا شيء يكسرها. رأيت ذلك في عيون المعتقلات اللواتي جمعتني بهن الزنزانات وعلى الجدران مما خطته أنامل الأحرار ودماؤهم أحياناً.

على جدران الزنزانات تلك تعلمت أن لنا ألما واحدا كما لنا أمل واحد، ويقين واحد.

حمص المدينة التي تنحدرين منها، دمار شبه كامل، حصار، احتقان طائفي، جوع، وصمود من الثوار رغم كل شيء، على المستوى السياسي والميداني: هل من خطوات حقيقية لتقديم شيء لحمص اليوم؟

بقيت حمص منذ بداية الثورة المعادلة الأصعب في كل التوازنات، وما زالت ورقة التوازن في المشهد السوري، وهذا ما تجلى في الجولة الأولى من المفاوضات إذ كان النظام يحاول التهرب من استحقاق حمص بطرح حلول لمناطق أخرى، وقرار مجلس الأمن الذي صدر (مؤخراً) يجب استثماره بوضع خطة سياسية وإعلامية للضغط على كل الأطراف، بما يسمح بالعودة التدريجية للحياة في مدينة حمص وتأمين الشروط المناسبة لعودة المهجرين، وعدم السماح بإحداث تغيير ديموغرافي في مدينة حمص بما يسمح للنظام بتمرير مشاريعه المشبوهة.

كيف تقيمين أداء المرأة السورية في الثورة؟

المرأة السورية كانت وما زالت إكسير الثورة وحاملها، في كل الميادين كانت، لم تؤثر على نشاطها جميع التغيرات التي طرأت على سيرورة الثورة. عاشتها لحظة بلحظة وتماهت مع جميع تغيراتها. لا شيء سيعيد المرأة السورية إلى مرحلة ما قبل الثورة، مرحلة ما قبل الحرية.

من زاوية أخرى ولنقل سياسياً، مشاركتها خجولة للغاية، وإن وجدت فهي محيَّدة إلى حد ما عن العمل السياسي لصالح العمل الإغاثي والإنساني، وهذا ما لا يتناسب مع حضورها القوي في كل مجالات الثورة، وعمق أدائها وتأثيرها.

هل هناك جولة جديدة في جنيف قريبا؟ وماذا تجهزون للجولة الجديدة إن تمت؟

نعم مؤكد أنه سيكون هناك جولة جديدة، لكن لما يحدَّدْ موعدُها بعد، تستمر اللجان في العمل على كل الملفات اللازمة لضبط خريطة العملية الانتقالية ولا سيما مسألة هيئة الحكم الانتقالية كاملة الصلاحيات.

نورا ماذا تقولين اليوم للسوريين؟

اليد الواحدة عاجزة عن التصفيق، فلتتكاتف أيدينا جميعاً لأجل سوريتنا التي لطالما حلمنا بها وتعاهدنا أن نمضي في دربنا إليها حتى النصر. التكاتف وتضافر الجهود ونكران الذات هو ما نحتاجه لننتصر في معركتنا.

عرائس شارع مدحت باشا – عمل للفنان ياسر صافي

غازي السويدان.. على بيدر حنطة

حوار: ناجي الجرف

–النظام ترك ألغاماً في الكثير من المناطق وخاصةً ال م أ والـ م د، راح ضحيتها العديد من السكان المدنيين بعد انسحاب النظام من تلك المناطق.
–المركز على أهميته لم يتلق الدعم المناسب، وعلاقة المركز بالائتلاف كالمُطلَّق من زوجته.
–رئاسة الأركان استخدمت الكاشفات الخاصة بالكشف عن الألغام للتنقيب عن الآثار!

١–الأستاذ غازي السويدان المدير العام للمركز السوري لإزالة الألغام، لمحة عن عمل المركز وعن وضع الكوادر ومتى تم تأسيس المركز؟

تم إنشاء المركز السوري لإزالة الألغام وإعادة التاهيل في كانون الثاني ٢٠١٣ بتكليف من الائتلاف الوطني، بدأ عمل المركز الفعلي في نفس التاريخ، قبل بدء التكليف بدأنا العمل، أحد الأسباب االتي دفعتنا لإنشاء المركز هي المآسي التي حصلت للمدنيين جراء وجود الألغام والمخلفات الحربية، النظام ترك في أكثر من مكان ألغاماً وخاصة الـ م أ والـ م د، راح ضحيتها العديد من السكان المدنيين بعد انسحاب النظام من عدة مناطق وعدة حواجز موجودة على الأرض، بدأنا فعلياً بالتعامل مع أحد المراكز الأردنية (الإيماك)، وقمنا بتدريب وتوعية عدة كوادر من مخاطر الألغام، هذه الكوادر تعمل على الأراضي الأردنية ضمن مخيم الزعتري، بدأنا التواصل مع فرق الإزالة في المناطق الشمالية من سوريا، كما تواصلت عدة فرق تعمل بشكلٍ تطوعي مع المركز وانضوت تحت المركز بحيث يكون العمل مؤسساتياً، وبالفعل بدأ تدريب وتأهيل وتزويد الكوادر بالمعدات الكاشفة والواقية وصندوق الإسعاف. بدأنا أول لقاء في شباط ٢٠١٣ منتظرين أن يتم تزويدنا بالكاشفات ولحد اليوم لم يتلق المركز أي جهاز، سبق والتقيت مع الشيخ أحمد الجربا وكذلك مع اللواء سليم إدريس كما تم التواصل مع القيادات العسكرية على أن يتم تزويد المركز بكاشفات، في هذه الأثناء كان يتم التواصل مع المنظمات الدولية لتدريب الكوادر العاملة على الأرض، إذ تم توثيق وجود أكثر من ٤٢٠٠ لغماً. في آخر لقاءٍ مع اللواء سليم إدريس وعد بأن يحصل المركز على الكاشفات المطلوبة، وصلت الكاشفات ولكن رئاسة الأركان استخدمتها للكشف عن الآثار!

٢–ماذا عن العقبات الأخرى؟

يوجد الكثير من العقبات التي تواجه فريقنا، مثلاً ومن خلال تدريبنا لفرق التوعية من مخاطر الألغام وعدة دورات تخطيناها، وخاصة بعد التوثيق المركزي لجميع الأفراد والمجموعات الذين رغبوا بالتواصل مع المركز، تلقينا اهتماماً من الأمم المتحدة حيث دعمت وأشرفت على عدة دورات تدريبية للفرق خاصةً فيما يتعلق بالتوعية من المخاطر، الإزالة، الإفراج عن الأراضي، توثيق المناطق الملوثة، المسح الفني وغير الفني، لاحقاً افتتح المركز مكتباً في مدينة الريحانية في الشهر العاشر ٢٠١٣، قمت بتدريب عدة فرق للتوعية من مخاطر الألغام، تركز عملنا في الأراضي السورية المحررة في ريف حماة وريف إدلب وريف حلب، كما تمكنا من إيصال رسالة لأكثر من ١٠٠ألف مواطن، طبعاً بالصور والفيديوهات، بالإضافة إلى برنامج تدريبي في مدينة أنطاكية، عدد الطلاب التقريبي بعد زيارة المراكز ٢٥ألف طفل، كما طُلب منا العمل على العديد من المدارس السورية للتوعية من مخاطر الألغام وهذا ما ينوي المركز التركيز عليه في المرحلة المقبلة، لكن حتى اليوم مازلنا نعمل بإمكانياتنا الشخصية، تم توقيف البرنامج في الشهر الثاني من ٢٠١٤ لعدم وجود دعم للمركز.

٣–أمام قلة الدعم، أين هي مؤسسات المعارضة السورية كالائتلاف الوطني والحكومة السورية المؤقتة؟

سبق والتقيت بالدكتور أسامة القاضي المدير التنفيذي لوحدة تنسيق الدعم ووعدنا بأن

غازي السويدان

الوحدة ستدعم المركز وأعماله، وآخر لقاء كان في ١٩–٠٢–٢٠١٤، وقد اعتذر عن تقديم أي مساعدة أو دعم، كما قابلت السيد وزير الدفاع عدة لقاءات متتالية في الأيام القليلة الماضية، طلبنا منه تقديم الدعم لتفاصيل بسيطة جداً لكن حتى الآن لم يات الدعم، وكذلك الأمر لدى لقاء السيد وزير البنية التحتية فقد اعتذر أيضاً لعدم وجود دعم للحكومة، الدكتور عثمان وزير الإدارة المحلية كذلك الأمر، لكن ذلك لم يمنع أننا تلقينا الكثير من التشجيع على أداء المركز.

٤–حجة انعدام الدعم هو قلة الأموال في مؤسسات المعارضة، هكذا يقولون؟ أم أن تسييس الدعم قد يكون سبباً؟

لست أدري، في الواقع لا ينتمي المركز لأي جهة سياسية أو حزب أو مؤسسة أو كتيبة أو قيادة عسكرية، قد يكون ذلك هو أحد الأسباب.

للمركز مدخل واحد وليس له مخرج، يعتمد الحيادية وهدفه إنساني يشمل كامل الطيف السوري، انتماؤه فقط للجغرافيا السورية.

٥–هل هناك توثيق لأماكن وجود الألغام في سوريا؟ عندما نتحدث مع منظمات يقال أنه لا يوجد وثائق للألغام، هناك عمل عشوائي وهناك فوضى، وهناك ألغام في أماكن غير موجودة، كيف يتم سبر وجود الألغام في سوريا؟ هل هناك خريطة لوجود الألغام في سوريا اليوم للعمل على إزالتها في المستقبل؟

تم تدريب الكوادر على المسح الفني، والمسح غير الفني، الطريقة الأكاديمية المثلى للعمل داخل الأراضي السورية هي المسح غير الفني، وتعني عملية الاستقصاء من الأهالي عن المناطق الملوثة كالعقودة أو الجدباء الغير مستدلة. من خلال تواصل المركز مع المدنيين والكتائب في أغلب المناطق ، اتضح لنا أن سوريا كلها ملوثة، بالنسبة للألغام طبعاً المخلفات الحربية شقين، الشق الأول هو الجدباء الغير مستدلة، والشق الثاني هو الألغام المزروعة، طبعاً أغلب المناطق السورية ملوثة بالألغام إن كانت «م أ» أو «م د»، كان النظام يلغم أغلب مناطق تواجده كالمراكز العسكرية أو الكتائب أو الألوية أو الحواجز، عند خروجه يُبقي الألغام كما هي، والدليل على ذلك أنه تم توثيق أكثر من حالة في المناطق الشمالية والجنوبية، وهناك قسم من هذه الحالات انفجار الألغام بسيارات المدنيين، طبعاً المدني لا يعلم بوجود الألغام المزروعة والغير مزروعة فهي مخفية تحت الأرض، مثلاً قبل أيام اختبرنا في إحدى المزارع بريف إدلب طفلان يلعبان بقذيفةٍ عنقودية انفجرت فاستشهد الطفلان وبترت ساق الأب، تصلنا يومياً وثائق أو اتصالات حول إصابات من المخلفات الحربية.

بالنسبة للتوثيق فعملنا عبارة عن خرائط ورقية فقط، وفيها أغلب المناطق الملوثة، وتضم أيضاً الأعداد التقريبية، كما يوجد قسم معلومات تابع للمركز، يعتمد هذا القسم في عمله على استقاء المعلومات من المواطنين أو القيادات العسكرية على الأرض. بعد التوثيق تفرز المعلومة ويتم التأكد منها عن طريق المسح الفني، الذي يتم عن طريق نظام الـ GBS، وبعد المسح الرسمي عبر الكمبيوتر يتم إرسال المعلومة إلى المركز ومن ثم فرز المعلومة وإرسالها إلى الفرق العاملة على الإزالة، طبعاً لا يوجد معدات مع الفرق العاملة.

٦–بالنسبة لموضوع إزالة الألغام، ماهي أهم مخلفات الحروب المتفجرة التي تنتشر في سوريا؟

قبل أيام تم توثيق صواريخ عنقودية تُطلق خاصةً في القلمون وريف حماة، يخرج من الصاروخ عدة قنيبلات عنقودية، طبعاً هذا السلاح العنقودي المستورد من الاتحاد السوفييتي سابقاً، ٨٠٪منه غير قابل للانفجار لسوء الصنع أو التخزين، طبعاً يفترض أن يتم انفجار ٨٠٪ من القنيبلات وال ٢٠٪ منه يستقر ملوثاً الأرض، لكن في هذه الحالة ومع فساد الصواريخ المستخدمة كما ذكرت يحدث العكس لنحصل على ٨٠٪ تلوث. أغلب المدن السورية التي قُصفت ملوثة بالعنقودي؛ وخاصةً المناطق المهدمة بسبب القذائف، إن كانت الحاويات التي تلقى من الطائرات أو من الصوراريخ، وإن كان من النوع الآخر من القذائف الغير منفجرة التي تعتبر من مخلفات الحروب، وهي القذائف غير المنفجرة من الدبابات أو المدفعية بعيدة المدى والهاون.

٧–هل هناك توثيق في سوريا اليوم لعدد ضحايا المتفجرات؟ وهل يمكننا مثلاً أن نقدر عدد الأشخاص الذين فقدوا أطرافهم؟

لعدم وجود إمكانيات للمركز نحن غير قادرين على أن نوثق فعلياً وبدقة أعداد الضحايا، لذلك تجد أن الأعداد لدينا هي أعداد تقريبية، عموماً الأرقام غامضة جداً، يعني حسب الاتصالات التي تصل للمركز، هناك ٤٠ ألف شخص ما بين مبتور للطرف، وفاقدٍ لعينيه أو معاق أو مقتول بسبب الألغام.

٨–ماهي النصائح التي يمكن أن توجهها للتعامل مع الأجسام الغريبة والألغام بما يتناسب مع واقع الحال السوري؟

طبعا النصيحة للجميع سواءً كانوا أفراداً أو أهالي هي توخي الحذر، وضع علامات تأشير على المناطق الملوثة، عدم الاقتراب وعدم اللمس، إخطار ذوي القدرة والاختصاص في التعامل مع المخلفات الحربية.

٩–حسب ما قلت فالمركز تم تأسيسه بمباركة الائتلاف الوطني، ماهي علاقة الائتلاف بالمركز اليوم؟

كعلاقة المطلَّق من زوجته، طبعاً عندهم أولويات أي مؤسسة معارضة، ألا وهو العمل الإغاثي، وكأن المشكلة الوحيدة هي إطعام المواطن وبعد ذلك إن انفجر به لغم ما فهي ليست مسؤولية أحد!

تمت دعوتي منذ شهر تقريباً إلى مركز جنيف الدولي حيث عقد المؤتمر الذي دعيت إليه المنظمات العالمية المختصة، ومن خلال الدراسات التي طرحت تم تقدير أن سوريا ربما تكون البلد الأكثر تلوثاً بالألغام، أكثر من يوغسلافيا والعراق حالياً، ولذلك أريد أن أنوه أنه ومن خلال لقائي بمدير المركز الليبي لإزالة الألغام فقد علمت مثلاً أن عدد العاملين فيه يقارب ال ١٠آلاف موظف، المركز الليبي مدعوم عالمياً ومدعوم من الحكومة، في حين نسعى عبثاً وراء إضاءة عمل وتطوير هذا المركز السوري.

١٠–ألم يسلط المكتب الإعلامي للائتلاف الضوء على عمل المركز على الأقل؟

على الإطلاق حتى أنهم يحاولون حجب الإعلام عن أعمال المركز، وأنا أتحمل المسؤولية الأدبية والأخلاقية والقانونية عن كل ما ذكرت.

١١–هل هناك رقم ساخن للمركز للتواصل ونقل المعلومات؟

المركز يفتقر لكل الإمكانيات، لكن يوجد صفحة للمركز على الفايسبوك، بالإضافة إلى إيميلات المركز الموجودة.

١٢–أمام هذا الواقع الصعب، لا تمويل، عدم اكتراث، لماذا أنت مصر على المتابعة؟

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، إذا استطعت إيصال رسالة لشخص واحد في اليوم فأنا أديت الرسالة التي أجد نفسي قائماً عليها، وإذا كان المركز هو عبارة عن منصب إداري فقد تنحيت عن الإدارة، إن كان في الأردن أو في تركيا، سلمت المركز إلى إداريين بعد تدريبهم حسب الخبرة التي تلقيتها، أنا فقط أعمل على التواصل مع المنظمات الدولية، إلقاء المحاضرات، تدريب الكوادر على العمل، لا أكثر ولا أقل.

من مسائل الثورة السورية(٢)

مروان عبد الهادي

١–السلم الأهلي والثورة:

لاشك في أهمية السلم الأهلي، وسعي كل المجتمعات للوصول إليه، من أجل العيش المشترك الكريم. فالعنف ليس مطلباً إنسانياً، كما أنه ليس حاجة غريزية، كالخبز والماء. إنما هو وسيلة مكتسبة، يستخدمها الانسان من أجل السيطرة على الآخر. وتاريخيا يحتل العنف السياسي المرتبة الأولى في الصراعات الاجتماعية، باعتباره الوسيلة الأساس للحفاظ على السلطة، واستمرار السيطرة على المجتمع.

والمسألة ليست في الهدف فقط، أي السلم الأهلي ومفهومه الذي يُشير «إلى رفض كل أشكال القتل والقتال، أو الدعوة إليه أو التحريض عليه، أو تبريره». ومعنى السلم الأهلي «**أن يعيش الإنسان حياته، ويمارس أعماله بحرية مسؤولة..**»، إنما المسألة الأهم هي في الوسيلة، في كيفية وصول المجتمع إلى السلم الأهلي. هل يتم ذلك عبر التطور السلمي التدريجي، أم الثورة السلمية، أم الثورة العنيفة؟ لأن الوسيلة التي تعمل على تفكيك النظام القديم، تضع المقدمات الأساسية لوسائل وآليات إعادة البناء، «**وإعادة تشكيل السلم الأهلي وفق قيمٍ جديدة أكثر عدلا..**»، «**فالوسائل للنتائج، كالبذرة للشجرة**»، **كما يقول غاندي. وقد صدر عن مركز «المجتمع المدني والديمقراطي في سوريا»** في عنتاب التركية، كتاب بعنوان «**عوامل السلم الأهلي والنزاع الأهلي في سوريا**» تكمن أهميته في أنه خلاصة ندوات لمشاركين شباب عايشوا أحداث الثورة السورية، بالإضافة إلى بعض الدراسات النقدية.

يرى دعاة الثورة السلمية «**أن الثورات شرٌ لابد منه**»، وأن «**ممارسة السلطة أو الوصول اليها أو المشاركة بها لا يمكن أن تتم إلا عن طريقٍ سلميّ ديمقراطي**». وإن «**كل ثورة في العالم تقف أمام تحدٍ حقيقي، يجب أن تثبت فيه أنها نقيض الأنظمة المستبدة، فتنبذ العنف، وتوطد التسامح كقضايا لا تقبل التأجيل في مسارات الثورة ومآلاتها**».

ورغم أهمية التغيير السلمي، إلا أنه تاريخياً لم يكن الوسيلة الأعم لانتقال المجتمعات من تشكيلةٍ اجتماعيةٍ اقتصادية، إلى تشكيلةٍ أعلى. إنما كانت الثورة العنيفة هي الوسيلة الأعم، إن لم تكن الوحيدة للتغيير. وتاريخ أوروبا الحديث منذ الثورة الفرنسية(١٧٨٩) التي حملت لواء التنوير إلى كل العالم، هو تاريخ الثورات العنيفة. فهل تُوصف هذه الثورات بالشر!. بالتأكيد لا، فالتوصيف الأخلاقي لا يفسر الثورات وأهميتها، لأنه بدون الثورات عبر التاريخ الإنساني، لم يكن للبشرية أن تتقدم وترتقي في سلم الحضارة. وإذا كان الشر يكمن في العنف الثوري، وما ينتج عنه من مآسٍ وقتل وتدمير، فإن الواجب أن نعقل هذا الشر الذي لا يوجد إلا مع نقيضه الخير، وأن نفهم صراع المتناقضات كضرورة موضوعية تاريخية، بدلاً من أن نصب اللعنات الأخلاقية. والثورة هي ضرورة تاريخية، لابد أن تحدث في أي مجتمع، عندما تصل تناقضاته الداخلية إلى مرحلة لم يعد فيها الإصلاح ممكناً.

لا يختار الشعب وسيلة ثورته، هل هي سلمية، أم عنفية، لأنه بالأساس ليس طالباً في مدرسة يمكن أن يختار الإجابة الصحيحة ويرفض الخاطئة. وبتعبير ماركس، فإن «**الشعوب هي من تصنع تاريخها، ولكن لا تصنعه في ظروفٍ اختارتها هي، بل تحت ظروفٍ موجودة من قبل، ممتدة من الماضي..**». هذا أولاً.

وثانيا؛ إن الشعوب لا تصنع تاريخها بقوة الأفكار والمبادئ فقط رغم أهميتها، إنما أيضا بقوة الإرادة، والعواطف، والمشاعر المتناقضة، والغضب المكبوت، والتي تحمل في مجملها، الانتقام، والغطرسة، والشخصانية، والكرامة.. الخ.

وبالتالي لا يوجد مسطرةٌ حسابية لثورة شعب ما، كما أنه لا توجد مسطرةٌ واحدة لكل الثورات في العالم. والظروف التاريخية لكل مجتمع هي التي تحدد طبيعة ثورته ومسارها ووسائلها. استولت الأنظمة العربية على السلطة بالعنف، واستمرارها في السيطرة بفعل العنف، والمجتمع خانعٌ بفعل العنف، ومازال يختزن في داخله العنف حتى النخاع، وكما يشير واقع الصراع فإنها لا يمكن أن تُسقط إلا بالعنف.

الثورة السلمية في مصر وتونس، لم تنتصر في حلقتها الأولى، إلا بفعل قوة الجيش، الذي توافقت مصالحه مع الشعب بأن يشكل قوة مستقلة ويضع نفسه فوق الجميع. واستثمر الغضب الشعبي وقام بالتضحية بالطاغية، بقصد امتصاص هذا الغضب، وإيقاف الثورة عند حدود إسقاط الطاغية، وليس إسقاط النظام. وكذلك اليمن، حيث تم ترحيل علي صالح بفعل هيمنة السعودية ودول الخليج على النظام اليمني.

٢–الثورة في سوريا

من الوجهة المنطقية، مثلاً، كان يجب على الشعب السوري أن يبدأ ثورته، عند موت الأب–المأساة عام(٢٠٠٠)، ورفض توريث الابن–المهزلة. إلا أن التاريخ، والثورات في نشأتها ومسارها، لا تستجيب للمنطق الصوري، أو للعقلانية التأملية التي تعمل على رسم مسار التاريخ وفق ما يجب أن يكون، وليس كما يحصل بالفعل.

ولم تكن انطلاقة الثورة السورية انعكاساً آلياً

من مظاهرات مدينة بنش ٢٠١٢ – خاص حنطة

لثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا، كما يراها بعض المثقفين، رغم أهمية هذا المناخ الثوري. فالمناخ والمزاج الشعبي كان جاهزاً للثورة. وقد توضح هذا المناخ الداخلي منذ البداية بوحدة المشاعر الغاضبة المكبوتة للشعب كله، وأهدافها الداعية لإسقاط النظام، والتي تجسدت بالانتشار السريع للثورة في كل المدن السورية، بمشاركة كل مكونات المجتمع، والذي لم يكن مبرمجاً، أو بحاجة إلى وصفةٍ مسبقة، أو برامج سياسية جاهزة. وكانت شعارات الثورة، وتسمية أيام الجمعة التي تشير إلى وحدة هذه المشاعر ضد النظام مثل: «**للموت نحن معاك يا درعا، يا حمص، يابانياس.. الخ**»، و«**الشعب السوري واحد**».. الخ

إلا أن نجاح النظام في وحشيته بقتل المتظاهرين، وإعادة الخوف، وتقطيع المدن إلى بؤرٍ أمنية، وحصرها في الجوامع، حتى يبرر للعالم وصفها بالعصابات السلفية المسلحة، لا يعني أن المناخ الشعبي العام لم يكن ملائماً للثورة، أو أن الثورة افتقرت إلى الوحدة الشعبية الوطنية.

وقد جسد الثوار في سوريا على الأرض كل القيم الثورية السلمية النقيضة لعنف النظام، مثل التظاهر، والاعتصام، مع الورود والشموع، إلا أن الثوار كبشر لا يملكون الطاقة المطلقة لاحتمال مواجهة الرصاص بالصدور العارية للأبد. ولم يكن أمامهم سوى حمل السلاح ليس من أجل الدفاع عن أنفسهم فقط، إنما أيضاً، من أجل استعادة الإرادة المسلوبة، والإحساس بوجودهم الإنساني كبشر، ولعدم قدرتهم على الاستمرار بالعيش في حظيرة الأغنام، ولمعرفتهم الفطرية بأن هذا النظام لا يسقط إلا بالقوة. فهل يمكن لأحدٍ أن ينصح الشعب أن يعود إلى الحظيرة؟

لقد انتهت مرحلة استجداء النظام كي يقوم ببعض الإصلاحات، كما كانت تفعل المعارضة القديمة خلال المراحل السابقة، ولم يترك النظام أية فرصةٍ للحل السياسي السلمي، أو التسوية مع الثوار الجدد. وتحول الصراع إلى صراعٍ وجودي مفتوح قطباه: إما الشعب، أو النظام.

الثورة الشعبية في سوريا هي ثورة سياسية وطنية بالدرجة الأولى. ومن الطبيعي مثل أية ثورة، أن تؤدي إلى انقسام واصطفاف جديد للقوى السياسية والمجتمعية على كافة المستويات بين مؤيد للثورة، ومعارض لها.

من مظاهرات مدينة بنش – عدسة محمد حاج قدور

أولى هذه الانقسامات بين رموز المعارضة القديمة، والتي كانت تطالب النظام بالانتقال نحو الديمقراطية، فمن جهة، «**هيئة التنسيق**؛ التي أفسح لها النظام مكاناً في حديقته الخلفية كي تردد مع النظام «**لا للعنف، لا للطائفية، لا للتدخل الخارجي**»، دون أن يلتفت إليها حتى حراس الحديقة. وبالمقابل، المؤيدين للثورة، والذين شكلوا «**المجلس الوطني السوري**»، ثم تحول إلى «**الائتلاف الوطني**»، والذي فشل في النهاية أن يكون قائداً سياسياً للثورة.

وثاني الانقسامات التي نجمت عن انفجار المجتمع، وهي الأخطر، وبروز المكونات المستنقعية ما قبل الوطنية للمجتمع، والتي أظهرت السلم الأهلي المزيف، وهشاشة الوحدة الوطنية الساكنة تحت ظل الاستبداد، وهشاشة النسيج الاجتماعي، الذي يشكله التنوع الطائفي والقومي، والذي أنتج تاريخياً «**هويةً هجينة لم تتأصل بعد**»، انفجرت مع تسارع الصراع المسلح، و«**أحدثت انقساما عمودياً على ذلك التنوع الأفقي، ليزيد من تشظي الهوية السورية**» كما لاحظت بحق ناريمان عامر.

وقد تجذر الانقسام بشكل أعمق، بسبب فشل الثوار في ادارة المناطق المحررة وتقديم نموذج لقيم الثورة، ومبادئها في الحرية والكرامة، بحيث كان يمكن أن تشجع الاغلبية الصامتة من كل الطوائف على الانضمام الفعلي للثورة.

ومع استمرار سياسة الأرض المحروقة التي يمارسها النظام وفق شعار: «**إما أنا، أو لا أحد**»، «**إما الاسد، أو نحرق البلد**». يتكرر السؤال مع كل صباح، ومع كل مجزرة جديدة، حول طبيعة هذا النظام وبنيته، الذي يحرق الشعب والمدن بطريقةٍ لم يفعلها كل الطغاة في العصر الحديث.

وهذا يضعنا أمام «المسكوت عنه» منذ قيام الأب بالانقلاب عام (١٩٧٠)، بسبب تجريم النظام لأية مقاربةٍ للحديث عن بنية النظام. لأن أي حديث عن بنية النظام سيؤدي إلى تعرية النظام ببنيته الطائفية، وحتى يبقى «**هو الوحيد محرك التطييف الوحيد الذي عمل على تقسيم المجتمع والدولة طائفيا**»، كما لاحظ محمد ديبو في الكتاب المذكور.

وبدون الخوض في التفاصيل، فقد كشفت الثورة البنية الطائفية للنظام «**ودولته الأمنية الطاغية التي التهمت المجتمع والدولة**» بتعبير طيب تيزيني. ورغم الانشقاقات الكثيرة والاعتقالات والتصفيات الدموية التي تعرض لها الجيش، استمرت بقايا الجيش والأجهزة الأمنية متماسكة، وهي العصب المركزي للنظام، بسبب انتمائها الطائفي الواحد «**العلوي**». بالإضافة إلى استقدام الميليشيات الشيعية من لبنان وإيران والعراق. وتشكيل محور طائفي شيعي إقليمي في المنطقة ضد الثورة، التي يتم جرها إلى المحور الآخر «**السني**» بقيادة السعودية.

والذي يفسر شراسة العنف وفظاعته، ليس لأن النظام «**استبدادي**»، أو «**سلطاني**»، أو «**شمولي**»، إنما كونه عنفاً طائفيا أولاً. ولأن هذه الطائفة أقلية ثانياً. والملاحظ تاريخياً أن عنف الأقلية الطائفية أكثر شراسة من عنف الأكثرية. وهذه البقايا المقاتلة لا تدافع عن الطائفة والأقليات الأخرى، كما يدّعي النظام، إنما تدافع عن مصالحها الخاصة التي اكتسبتها كسلطةٍ مسيطرة على المجتمع كله. ولأن النظام مكشوفٌ أمام الأقليات وأمام أغلبية العلويين خاصة، فقد فشل في دفع هذه الطوائف باتجاه الحرب الأهلية الطائفية حتى الآن.

والمقاومة السلمية، كي تنجح بحاجة أولاً إلى هامشٍ للحركة، وللرأي، مكانٍ للاعتصام

وللشموع، وثانياً: أن يكون النظام يملك «**حداً أدنى من الضمير والحرية بحيث يمكن في النهاية أن يوافق على التفاوض**». وهذين الشرطين غير متوفرين على الإطلاق في النظام السوري. فالنظام الذي يقتلع حنجرة شخصٍ عبر عن رأيه ضد الطاغية (**القاشوش مثالاً**)، ويقطع قضيب طفل (**حمزة الخطيب**) لأنه تبول على صورة الطاغية، لامثيل له في العصر الحديث. وطائفيته ليست «**حديثة**»، كما وصفها بدرخان علي. إنما طائفية موغلة في القدَم، وتحمل كل الحقد التاريخي الملوث بالدم.

ولذلك كان قَدَر الثورة السورية أن تكون عنيفةً، فالشروط الموضوعية للتغيير، وبشكل رئيسي بنية النظام، هي ما أفشل كل المحاولات للتغيير السلمي، وبالمقابل أنتجت الثورة العنيفة في سوريا كضرورةٍ موضوعية، لا يمكن لأحد أن يمنع حدوثها.

فالسلم الأهلي لا يمكن تحققه، إلا بإنجاز السلم السياسي، والعدالة الاقتصادية، والمجتمع السوري لن يدخل بوابة السلم السياسي والأهلي إلا بانتصار الثورة. وأقصر الطرق هو دعم الجيش الحر حتى إسقاط النظام، وتأسيس دولةٍ مدنية ديمقراطية لكل السوريين.

وعلى منظمات المجتمع المدني التي تتكاثر كالفطر، أن تلعب دوراً مهماً، ليس في نشر ثقافة السلم الأهلي، وقبول الآخر، والديمقراطية والعلمانية فحسب؛ إنما أيضاً يجب توجيه الشباب باتجاه تنشيط الجانب السياسي والمدني الداعم للثورة، وليس أن يكون متناقضاً معها. وعدم تبديد جهودهم وزرع الأوهام عندهم بإمكانية تحقيق السلم الأهلي مع بقاء النظام، أو بالتسوية معه ضمن صفقة دولية، أو البحث عن ثورة الياسمين، أو العودة إلى حظيرة النظام والسلم الأهلي المستنقعي تحت وصايته.

المثقف السوري والدولة– قصة ولاء

خضر سلمان

الحنين لسوريا التي كانت، أمرٌ طبيعي بغض النظر عن إحداثيات هذه اللحظة. ليست هذه هي النقطة، لكن اتخاذ هذه اللحظة العاطفية «**البسيطة**»، أساساً لخطاب النخب السورية التقليدية، حد تماهي سوريا ما قبل الثورة –قيد الأسطرة– مع مكان اليوتوبيا في الذهنية السياسية عند هؤلاء، واستلهامها، مرةً كنموذج لتعايش الطوائف، ومرةً كمرجعية لتعريف السوريين وأفكارهم وأنماط اجتماعهم (التي هي أفكار وأنماطٌ لمستبَدٍّ بهم، مجمَّدي الوجود والإرادة والقوة)، كل هذا يجعل من الشرعي والثوري والضروري، سؤال: لمَ سوريا التي تريدها النخب التقليدية المحسوبة على الثورة، تشبه سوريا التي يرعاها النظام ويقوم عليها قوامةً كاملة، كل هذا الشبه؟ هذا ليس مريحاً..

ثورتنا «الهدامة»

يخوض السوريون ثورة تشبههم، في مآلاتها الحادة كما بدايتها المتعثرة المحامِلة الوطنية، ولا ينقض هذا –بل يؤكد– الاستنتاج أن الثورة السورية تمضي أعمق، وبدأبٍ، في حساسيةٍ وراهنيةٍ ما تفرضه وتعالجه من مشكلاتٍ وأسئلة، وما تبنيه وتنبني عليه من مفاهيم وقضايا سوسيولوجية، فحتى لو كان أداء خطاب النخب السورية التقليدية الذي فرض نفسه –من قلة الحيل..– في الأشهر الأولى للثورة، متهافتاً وسلطوياً، إلا أن هذا الخطاب كان حقاً سمة الإيقاع العام للثورة آنذاك، لأن مجتمع الثورة كان حسن النية ومبادراً، فمتظاهرو درعا وساحة العاصي في حماة، وبانياس وريف دمشق ودير الزور..، كانوا صادقين ومدركين حين هتفوا للدولة المدنية و«**طمأنوا**» الأقليات والبرجوازية، وخيمة الوحدة الوطنية في اعتصام الخالدية كانت حمصيةً بعمق. لنقل مبدئياً إنه كان القدْر المقدور عليه من «**الأريحية**» أمام مستوى القمع الماثل في الأشهر الأولى، الذي كان بصورةٍ ما متحكِّماً به وغير منفلت، نسبياً طبعاً، بالقياس إلى ما تناهى ويتناهى إليه من لامعقولية. هذا كله لم يُتوقَّع حينها أن يؤول إلى سرديةٍ ريفيةٍ طبقيةٍ هوياتيةٍ عنيفةٍ، في وجه العدو الذي يتعرى بحكم الإيقاع الدموي للحدث السوري، إلى حقيقته: نظام البرجوازية والعسكر، المديني المرجعية، الأقلّيّ الهوى، المستبِدّ بالتكوين.

على أية حال، من السهل باستعراضٍ زمنيٍّ سريع، استنتاج أن عاملاً ما أو مجموعة عوامل لم تستطع حرف الخط التصاعدي للثورة السورية، الذاهب بالتناقضات إلى أقصاها، كما بمسار الصراعات الثورية الخارجية: صراع الثورة مع النظام، وصراعها مع العوامل الكابحة للثورة، والداخلية: صراع «**التعبير عن**»، وتمثيل الثورة، بين الدوافع الحقيقية الكامنة وراء حسم شكل الثورة وخطابها «**النهائي**»، والدوافع الرسمية الماثلة في الخطاب المعلَن والمتبنَّى من قبل معظم التيارات والتشكيلات الثورية والسياسية التي تدعي أو تحاول تمثيل الثورة، حتى الجذرية منها، القاطعة مع العالم «**المتمدن**»، كـ(**النصرة**) و(**دولة العراق والشام**)، التي ينطوي خطابها هي الأخرى على تقويَّةٍ من طبيعةٍ مدرَّبةٍ بفعل التطوير المتوهِّم غير المطابِق لأسئلة الهوية والاختلاف، على التبلور عكسياً في تطبيقات الإيديولوجيا على معتنقيها، ومؤدلَجة بعيداً عن هذه الطبيعة، بعداً لا مُفارَقةً.

تنطوي شعارات المرحلة الأولى من الثورة، الوطنية، المضبوطة، الإصلاحية الروح، على قبول ضمني بالتعريف العام للنظام عن الدولة السورية والشعب السوري. كانت الحكاية الوحيدة المتوفِّرة عن الوطنية السورية هي هذه التي لقننا إياها نظام البعث عبر سنيّ التجريف. تبدأ هذه الحكاية من شعب عربي في سورية، تام الخلقة، متنوع في إطار الوحدة، «**طرأ**» عليه العثمانيون، ثم صحا في أول القرن العشرين، ثم عاد الفرنسيون فاحتلوه –يا لهذا العالم– فثاروا عليه بثورة سورية كبرى متنوعة في إطار الوحدة –هي الأخرى–، ثم درج هذا الشعب بخطى تسرع وتبطئ وتتعثر بعد الاستقلال في تحصيل المكاسب لمعركة الأمة في

الخط التقدمي العربي ضد الصهيونية والإمبريالية و..، إلى أن استلم البعث السلطة، فأراح المجتمع السعيد من عبء النضال والتفكير مرة وإلى الأبد.

لنقل إن الثورة السورية ابتدأت من تشكيك في شرعية البعث (**لا المنظومة العميقة الكامنة وراء إنتاج شكل السلطة على ما هي عليه**)، وبالتالي التشكيك في الجزء الأخير –وحسب– من هذه الحكاية اليتيمة، واعتماد، بل تبني باقي الحكاية، وكان أن سمعنا أسماءً للجُمع من نوع (**جمعة الشيخ صالح العلي**)، (**والجمعة العظيمة**)، وتم تبني علم الاستقلال، بما يقول إصراراً ما على الإشارة إلى أنها ثورة تنطلق من، وتستهدف الشعب السوري «**الواحد**».

اليوم، كل هذا تغير عبر سيرورة التجذير المتبادلة بين الفعل الثوري ورد فعل النظام العنيف، ورد فعل الثورة على عنف النظام، هذه الحلقة من التأثير مفتوحة عمودياً على هوة عميقة تحفر فيها الذات السورية، متصديةً للتناقضات الأكثر حساسيةً و«**حرمةً**»، نحو وضعٍ عادلٍ يشعر فيه الإنسان بالكرامة والاكتفاء والأمن والعدالة والحرية، وضمان حق هذا الإنسان في الدفاع عن كرامته وأمنه وحريته وحقوقه، في وجه كل ما قد يهدده، وأولاً السلطة وميول الاستبداد القابعة في أساس بنيان المنظومة المعرفية الفاسدة لنخب المجتمع السوري، التي ما تزال تجد الشجاعة حتى اليوم لادعاء تمثيل الثورة وشعبها.

(**المدنية الديمقراطية**) ومنطق التنازل

لم تبدِ النخبة السورية التقليدية –باستثناء الأشهر الأولى– مواكَبَةً واعيةً للثورة السورية التي فككت وتفكك الحكاية القديمة الوحيدة عن الوطنية السورية (**بما يقوله هذا التفكيك من شجاعةٍ في مرتكبيه، شجاعة هدم الكذبة دون الخوف من وحشة فقدان مرجعية معرفية شموليةٍ من نوع الوطنية السورية البرجوازية التي طعمتها الأقليات، بهويةٍ غير مركبة، وحسمٍ ساذجٍ لأسئلة جدية لكل ذات، أسئلة مَن نحن وأين نحن من كل شيء. يبطِن هذا التفكيك الذي يمكن القول الآن إنه ثابت من ثوابت الثورة، أيضاً، إعادةَ نظرٍ في طبيعة الهوية وضرورتها وحجمها في الذات الجمعية للسوريين، أي أكثر من مجرد البحث عن وسيلةٍ لإرواء عطش الهوية**). أكثر من التردد، استمرت مراجعات من قبيل (**شعار إسقاط النظام كان خطأً**)، و(**رفض «شيطنة» النظام وحوامله**)، تسمع بين الفينة والأخرى، وحتى اليوم، بعد القتل والسحل والقصف والتهجير و..

هنا يبرز سؤال: إذا كان إسقاط النظام هدفاً مقبولاً ومنطقياً للجميع، إذا كان نزع الشرعية عن البعث وآل الأسد، نتيجةً منطقيةً لانتفاء الرابطة بين النظام والشعب، وإذا كانت الطبقة السياسية قبلت هذا، لمَ يستمر هؤلاء في إنكار أن هذه الوطنية الدولانية تهاوت تحت وطأة واقعٍ اختباريّ جدي (**لأول مرة**)، مما يعني أنها كانت دائماً تعيش على الكذب والرعب؟ وأن سلة مبررات وجود الدولة السورية كما هي عليه، تسقط مرةً واحدة أمام معركةٍ جذريةٍ ضاع فيها «**الإخوة**» بين إرهابيين وعملاء وكتائب احتلال أسدي وشبيحة و.. وأن دولة الأسد عملياً هي المعلم الوحيد المتبقي من الوطنية السورية الكلاسيكية المتمحورة حول الدولة والدائرة في فلكها، الدولة التي تبقى فوق الكفر بها مهما اختزلت ذاتها في عصابة، ومهما كانت جامحة القوة والتسلط، ومهما تعرّت أقنعتها. هذه الدولة نفسها، وليس أي شيءٍ جديد، هي ما ينادي من ينادي لصونها والحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من إرثها، من بيروقراطيتها وجيشها وأجهزتها وبناها العميقة. يشرح هذا كم أن فهم الثورة بما هي فعل وصيرورة، غير ثوري عند هؤلاء. الأمر بالنسبة إليهم ليس أكثر من خروج مؤقت عن القانون، مؤقت وجراحي، لحين تدبر أمر عدم السماح لهؤلاء الجهلة بإسقاط الدولة– الأب، وبالتالي الأساس الاقتصادي والاجتماعي العميق للنظام السياسي القائم، المستفيدةِ منه أطرافٌ شتى، لأجل أن نعود جميعنا في النهاية إلى أفياء هذه الدولة الرؤوم، التي ستكون دولة «**قانون**»، أي دولةً أكثر، دولةً أشد إمساكاً بالمجتمع وأكثر ارتباطاً ببناها الفوقية (**دولة مدنية**)، وليس الخروج الثوري: الخروج عن «**القانون**» أبداً، والقطع مع مناخ الاستبداد ومفرداته قطعاً.

لافتات كفرنبل ٢٠١٣

ملاحظة أخرى: بتطوير كل هذه الأسئلة، والبحث في موتورية الخطاب الثقافي السوري في دوائر الثورة، سنجد أن ما حاول كثيرون أن يقولوا إنه التحاق بالشارع، وانقيادٌ للجماهير (نفس الجماهير غير الموثوق بها، المحتاجة لـ«التنوير»)، في شعبوية رعناء واستغباء إنشائي لجدية الفعل الثوري وجدية التضحيات، سنجد أن ما وصف بأنه تبعية النخب للشارع، لم يكن في حقيقة الأمر إلا سيرورة شد وجذب، تنوس فيها النخب بحركةٍ دَورية، من الممانعة إلى التنازل إلى القبول.. ماذا يعني هذا؟ يعني الكثير، وأوله أن حقيقة اصطفاف الوسط «**المدني**» هي –في ذهنية هذا الوسط أولاً– اصطفاف في وجه الثورة لا معها، ومعركةٌ بين شعب الثورة (**غير «الواعي»، العفوي والجامح**)، والشعب

المأمول، الشعب الذي كان، والذي «**ينبغي أن يكون**»، أي البرجوازية ومثقفي المدن من ذوي المنابت الريفية الأقلية، الذين يكنون شيئاً أقرب للاستلهام الدوني تجاه المدينة السورية العريقة، معركة بين الفوضى وبين الدولة كقيمة، بين المتغير الثوري والثابت «الوطني»، الذي يحميه المثقف المتصدي لمهمة شد الثورة دائماً إلى ضفة النظام (**يسمونه «العقل» أحياناً**)، حتى لو كان هذا التعقل يحيل إلى تكريس الظلم (**حين يحيل إلى أي شيءٍ غير العدالة، غير كشف الحساب مرة واحدة، للتأسيس لمناخٍ صفريٍّ ملائم لتجربة بناءٍ مجتمعيةٍ حرة، لا يفرض فيها أحد على المجتمع قوالب ليتوضع فيها، بما يناسب مصلحةَ هذا أو ذاك، ومهما تعب هذا أو ذاك ليمرر من البديهيات، كـ«حتمية» الحداثة، و«الدولة المدنية»، وهو ما سنجد أنه –عند استنطاق فهم أصحاب هذا الطرح لمصطلحَي تحديث المجتمع والدولة المدنية– ليس أكثر من سوريا الأسد بدون الأسد**).

تعيش هذه «**الليبرالية الوطنية**» المثقلَة بإرث الإشكال غير المحلول بين الريف والمدينة، وسؤال «**التمدن**» المرير، والاستعلاء ومركبات النقص الحضارية تجاه الغرب والشباب والثورة والمستقبل (**كل شيءٍ تقريباً**)، تعيش لحظةً صعبة، أمام صيرورة حية لانعتاق هذا الكل الثوري من الاستبداد، وبعمق، والشعور بأن هذا الكل الطالع من قيعانِ المجتمع وهوامش الوجود، والذي كان دائماً ثانوياً وسلبيّ الأدوار في وعي النخب السورية، يرتكب خيانة، يفارق الخطاب الذي طالما صنعناه له عن كيف ينبغي أن يثور وماذا ينبغي أن يقول وألا يقول. ثورةٌ مراهقة لا تستمع إلى نخبها..

هناك من عاش هذه اللحظة أيضاً في سوريا: إنه النظام، الذي يتقارب اليوم، أكثر من أي يوم آخر، في خطابه وما ينبني على هذا الخطاب، مع «**معارضيه**»، المتباكين فرَقاً على الكيان «**الواحد**»، والدولة والمؤسسات، وتجهد مكناتهم الثقافية والسياسية لـ«عقلنة» المد الثوري الذي يهدد بنسف هذه المنظومة الهشة الكاشفة عن طبيعةِ القوى المحركة لطاقات التسلط والتحكم بالمجتمع، من أجل أن تتوجه دفة «**الوطن**»

لافتات كفرنبل ٢٠١٣

دوماً بما يخدم مصلحة طرف واحد أو أطراف متحالفة، متحالفة بالضبط على إعادة إنتاج هذه الـ«**سوريا**» إلى الأبد، بأسماء مختلفة، يقترح هذا المقال أن أحدها (الدولة المدنية الديمقراطية التعددية..).

إذن كان النظام على حق عندما قال إن ثورة كهذه لا تستهدف ما تقول به من تغيير، بل ستقوض الدولة السورية والكيان السوري أصلاً؟ غالباً نعم، فهو يعرف دولته جيداً.

خاتمة: في اللحظة لسورية وجيوش الشعب «الواحد»

تدور هذه النقاشات وغيرها، فيما الواقع الميداني للثورة السورية يصبح أعقد، ويهدد بنسف التوازن القلق في المنطقة، الذي استمرَّ مرعيًّا من قبل الأنظمة التقليدية القائمة والغرب، وتضيع في هذا الزحام كل الدعاية السياسية التي تطلقها الأطراف المتحاربة في سوريا، لتكون الكلمة على الأرض للّاحسم، والمزيد من الدماء والمراوحة، وتثبت وقائع اللحظة السورية أنه –اليوم كما بالأمس– لا شيء كفيلٌ بضخ الحياة والتفاؤل في أيام المغلوبين على أمرهم والحالمين بظروف أفضل وحياة كريمة ووضع عادل، إلا بإيقاف فوهة الموت الماثلة في وجوه الجميع، ولا يكون إيقافها إلا بإسقاطها، وإسقاط المنظومة التي ترعاها وتغذيها.

إذن، في مقابل حالة مسلحة كردية قوية في الشمال، تتأسس على قضية كردية قديمة ومجروحة، ويعضدها التفاف شعبي كردي لا يستهان به، وفي مقابل الحالة الإسلامية المتصاعدة القوة والطامحة للحكم بوضوح وبلا كثير توريات، والجيش الحر الذي لم يبارح –برغم محاولات «**المأسسة**»– حالة المقاومة الأهلية غير المنظمة إلا على نطاقاتٍ محلية، وجيش النظام، وجيوشه الرديفة من كتائب الشبيحة وجيش «**الدفاع الوطني**»، في مقابل كل هذا، يبدو البناء على دولة وطنية سورية جامعة بشكلها الحالي، أو التأسيس لعقدٍ وطني ما، ترفاً سياسياً وسباحة في الوهم، وتصبح الحاجة أكبر إلى طبقةٍ سياسية وثقافية ثورية ومتجاوزة لذاتها، تسحب اللحظة الثورية إلى ميادين الفكر والجدل السياسي والثقافي، وتؤسس لدورٍ جذريٍّ للشباب الثوري في صناعة المتغيِّر السياسي في البلاد والمنطقة، بشكلٍ يضمن حقوق الفئات التي حملت وحدها عبء الثورة الضخم، وتهدمت حياتها التي كانت في الأصل ضحلة الموارد وقهريّة الإيقاع ومتحكَّماً بها بوحشية، وخسرت كل شيءٍ.

لا تتحقق سيرورة بناء من هذا النوع إلا بمواجهةٍ صارمةٍ وقاطعةٍ مع كل من يعمل لإرجاع الزمن إلى الوراء واستحضار مفردات الاستبداد. مواجهةٌ معرفية لا بد منها، الرهان فيها كما كان في سواها، على وجدان الثورة السورية الخلاق، الذي ينجز –وحيداً حتى الآن– القفزة التاريخية من مجتمع الرعب إلى مجتمع الحرية، ومن الإنسان المستلَب إلى الإنسان الفعال.

في ما يخصّ المجتمعات السنيّة العروبية والعلمانية..

ماجد كيالي

هذا عنوانٌ إشكالي، بالطبع، لكن ليس بأقل من اعتبار النظام السوري بمثابة نظامٍ علماني وقومي ومقاوم، ناهيك عن اشتراكي، واعتبار جمهورية إيران الإسلامية، أي نظام «**الولي الفقيه**»، بمثابة جمهوريةٍ وديموقراطية، في تجاهلٍ لطابعها الديني والطائفي، مع ما في هذا وذاك من ترويجٍ لمصطلحات باتت فارغة من مضامينها ودلالاتها.

بداية، يجدر التنويه بأن الحديث يدور حول مجتمعات «**السنّة**»، وليس حول تياراتها، الحزبية أو الفكرية أو السياسية، وأن التعريف بـ «السنّة» مجرّد توصيفٍ خارجي، لمجرد تمييز أفراد هذه الطائفة عن غيرهم، بغضّ النظر عن المعتقدات والأهواء السياسية والفكرية التي تتجاذبهم حقاً، دينيةً أو علمانية، علماً أن الحديث عن الطائفة لا صلة له بالطائفية. فالمصطلح الأول مجرد اعتراف بجماعة تتمتّع بخاصيّةٍ مشتركة، إزاء غيرها، بينما يعبّر المصطلح الثاني عن التوظيف السياسي لهذه الجماعة. أما العلمانية فينحصر تناولها هنا بتمثلها عملياً، في معزل عن تمثّلها النظري، في التمييز بين الشأنين الديني والدنيوي، والمقدّس والمدنّس، واعتبار الدولة شأناً من شؤون البشر، من دون اشتراط الفصل بين الدين والسياسة، لأن ذلك غير ممكن عملياً، ولأنه ينتقص من مبدأ الحرية. ويحاول هذا الحديث تفكيك الأطروحة التي تروّج لاعتبار مجتمعات «**السنّة**» أكثر ميلاً إلى المحافظة والتطرّف والعنف، من الطوائف الأخرى، باعتبار ذلك بمثابة مسلّمات، على رغم ما فيها من تنميطاتٍ تعسّفية وتوظيفات سياسية. ولعل هذه النظرة تستمد مشروعيتها من انتماء معظم النظم العربية إلى هذه الطائفة، ومن احتساب الجماعات الجهادية عليها، كما من السردية الموروثة والسائدة عن «**مظلومية**» الشيعة. لكن مشكلة هذه الأطروحة عن «**السنّة**» مطابقتها بين الحكام والمحكومين، وادّعاؤها خصائص ثابتةً لهم تجعلهم على هذا النحو، ناهيك عن تمييزها بين طوائف المجتمعات العربية، على رغم عيشهم في الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ذاتها. الواقع أن وجهة نظرٍ كهذه يروّجها النظامان الإيراني

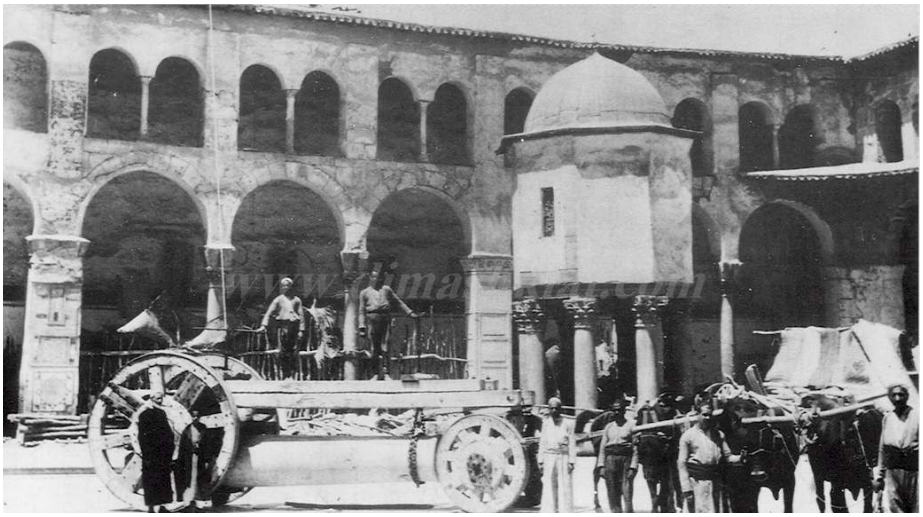

الجامع الاموي دمشق ١٩٠١

والسوري و«**حزب الله**» وحلفاؤهم من مدّعي «**اليسار**» و«**القومية**» و«**المقاومة**»، بهدف خلق صورةٍ متخيّلة عن مجتمعات «**السنّة**»، تخدم الهيمنة الإيرانية وتبرّر جرائم النظام السوري ضد شعبه، وتبيّض ممارسات «**حزب الله**» في سورية ولبنان، وتغطّي الخواء الأخلاقي والفكري لحلفائهم. الآن، لا شكّ في أن محاولةً كهذه لتفكيك هذه الأطروحة، وفق مقاربات العلمانية والحداثة، المتناسبة مع الظروف العربية، قد تنطوي على مجازفة. إلا أن الأمر ليس على هذه الدرجة من التعقيد. ذلك أن مجتمعات «**السنّة**»، في العالم العربي، لم تعرّف ذاتها تاريخياً كطائفة دينية، إزاء الطوائف الأخرى، ليس فضلاً منها، وإنما لإدراكها أنها أكثرية، وأنها بمثابة الشعب، أو العجينة اللاصقة لمختلف مكونات الشعب. ولا يمكن الحديث عن طائفةٍ «**سنّية**» بذاتها ولذاتها، دينياً أو دنيوياً، إذ ليس ثمة تراتبية دينية هرمية، ولا دولة مركز، كإيران في الشيعية السياسية، ما ينطبق على السعودية وتركيا، فضلاً عن أن هذا الجمهور لا يخضع لحزب معين، ولا «**الإخوان**» يستطيعون احتكار تمثيله، كما بيّنت تجارب مصر وتونس وسورية. أيضاً، فإن هذا الجمهور يعرّف نفسه بالهوية الوطنية والعروبية، وهو يتوزّع على التيارات القومية والليبرالية واليسارية والعلمانية والدينية، الوسطية والمتصوفة والدعوية والسلفية والمتشددة والجهادية، ناهيك عن غلبة التديّن الشعبي، غير المسيّس. تبعاً لذلك، ربما لا نجازف إذا اعتبرنا هذا الجمهور الأكثر تجاوزاً لذاته الطائفية، بتماثله مع الهموم الوطنية والعربية والطبقية، وأنه في مقارباته العملية لـ «**الحداثة**» و«العلمانية» ليس أقل من غيره. هذا يبدو في السياسة باحتضانه التيارات القومية واليسارية والعلمانية والليبرالية والمقاومة الفلسطينية واللبنانية، واحتفائه بالثورة الإيرانية، وبـ «**حزب الله**»، على رغم طابعهما الطائفي والمذهبي. ولعل الوضع في مصر والسودان وبلدان المغرب العربي، حيث ٩٠.٨٠ في المئة من مواطنيها «**سنّة**»، يؤكد ذلك، كما أسماء قادة الأحزاب القومية واليسارية والعلمانية والمفكرين والأدباء والشعراء والفنانين. أخيراً، ثمة كلام مجازي في الحديث عن جمهور «السنّة»، بوصفه نسيجاً واحداً، مع توزّعه على دولٍ متباينة في انفتاحها على العلوم والثقافة والفن وحقائق العصر ومحاكاة العالم، تبعاً لطبيعة النظام الحاكم، في منطقةٍ ما زالت النظم فيها تتحكم بهندسة مجتمعاتها، بدليل أن حال المجتمع الليبي (**كما صاغه القذافي**) يختلف عن تونس، ومصر غير الجزائر، ومجتمعات الخليج تختلف عن مجتمعات بلاد الشام، فما بالك بأندونيسيا وتركيا. بديهي أن القصد من كل ما تقدم ليس المبالغة بدور جمهورٍ على حساب آخر، وإنما وضع المسألة في سياقها الطبيعي، حيث إن أزمة الحداثة والتكيف مع العصر ومحاكاة العالم، تشمل المجتمعات العربية، بمجمل مكوناتها، وهي في الأساس ناجمةٌ عن انسدادٍ في التطور

السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ما تتحمّل مسؤوليته النظم السائدة. والحال، فإن مجتمعات «**السنّة**»، في المشرق العربي، تقف اليوم إزاء وضع صعب، بمواجهتها تحدّيات تطاول رؤيتها لذاتها وربما لوجودها، لا سيما في سورية والعراق ولبنان. ومعلوم أن التفاعلات الناجمة عن تداعيات الصدمة العراقية، وبعدها الانفجار السوري، والتوتّرات في لبنان، باتت تنذر بإمكان بروز نوع من عصبية «**سنيّة**»، في مواجهة العصبية «**الشيعية**» التي تغذّيها إيران وتدعمها، ولو كنوع من رد فعل عليها. لكن ما يلفت أن هذه العصبية لا تنمو بدفع من عوامل داخلية مجتمعية وفكرية وسياسية، بقدر نموّها بدفع عوامل خارجية، تقف في مركزها سياسات إيران، بهيمنتها على العراق، ودعمها النظام السوري، ومشاركة الميليشيات التابعة لها، من مثل «**حزب الله**» وكتائب إبو الفضل العباس في قتال السوريين، ناهيك عن استعلاء «**حزب الله**» على اللبنانيين؛ من دون أن نغفل التلاعبات الخارجية بالثورة. أي أن العصبية «**السنيّة**» الطائفية تنمو بفعل تعريف الآخرين وتحدّيهم وتغذيتهم لها، وفي سياق الدفاع الطبيعي، والهوياتي، عن النفس، وفي الخصوص بسبب انكفاء، أو صمت الطوائف الأخرى عما يجري لمجتمع «**السنّة**» في سورية، والتنكّر لتضحياته وعذاباته في سبيل التغيير. مع ذلك، يمكن ملاحظة أن جمهور «**السنّة**»، في سورية، على رغم معاناته، والأثمان الباهظة التي يدفعها، ما زال يبدي حصانة، وصدىً، لمحاولات استدراجه للتحوّل إلى طائفة، وإلى اللعبة الطائفية، بدليل أن الجماعات المتشدّدة، التي تتغطّى بالإسلام، لا تحظى بشعبية، وتلقى صدّاً من جمهور يضنّ بالتضحية بوسطيته واعتداله في المسائل الدينية، وبميوله الوطنية والعروبية في المسائل السياسية، على رغم كل ما يختبره من أهوال.

من الأرشيف البصري لمؤسسة بصمة سورية

الجزيرة السورية والسلم الأهلي
تشعلون الحرب كي تغطوا على هزائمكم

أسامة أحمد

تشكل حقوق الإنسان الحد الأدنى المطلوب لنا نحن البشر كي نعيش في أي مكان بحريةٍ وكرامةٍ وسلام. السلام الذي نسعى إليه تلبيةً لحاجتنا في العيش والتعلم والعمل بأمان، ومصلحةً يسعى إليه الجميع، وتهم العامة كما تهم الخاصة، ويتحدث فيها الأفراد العاديون كما يتحدث فيه المتخصصون في السياسة والناشطون في مجال السلم. حق الحياة قيمةٌ إنسانيةٌ مهددةٌ دائماً بشتى الوسائل وفي كل الأوقات.

منطقة الجزيرة التي تمتد عبر شمال شرقي سوريا، وشمال غرب العراق، وجنوب شرق تركيا، هذا المثلث الحيوي بكل ما يملكه من خصائص ومقومات، والمعروف بتعدده العرقي والطائفي والمذهبي من العشائر العربية والكورد، السريان، الاشوريين، وغيرها من الإثنيات، تربطهم تراكماتٌ من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية عبر سنواتٍ من العيش المشترك. على الرغم من السياسات التي كانت تُمارس عليهم فقد حافظوا على الحدود الدنيا على الأقل من العيش المشترك فيما بينهم.

كما باقي المناطق السورية مرت على الجزيرة الكثير من الصراعات في ظل الثورة السورية، وبدأت الوسائل الإعلامية على مختلف أنواعها وتوجهاتها بالتحذير من وقوع اقتتالٍ أهليّ وطائفي بين أبناء منطقة الجزيرة، كصراعاتٍ محليةٍ تغذي الصراع الرئيسي الدائر في سوريا. وكثُر الحديث عن الاقتتال الأهلي ضمن منظومةٍ دعائيةٍ مبرمجة. تبدأ من مسؤولي الدول الخارجية، وتنتهي بأصغر ندوةٍ أو بيانٍ صادر من أطرافٍ محلية معينة، والتعبير عن مخاوف غير مبررة، وتصعيد في مواقف تغذي الانقسام وتزيد المخاوف لدى العامة.

يشترك أهالي منطقة الجزيرة في سوريا بقواسم اقتصادية واجتماعية وعلاقات تبادلية تفاعلية متينة. من الغير الوارد أن تسقط بسهولةٍ، بل من غير الوارد أن ندعي أن هناك انقسام مجتمعي أفقي. فالنزاعات تنشأ بين الأهالي على المصالح والحاجات. حاجات اجتماعية ومادية وحقوقية. تربط أهالي هذه المنطقة مصالح مشتركة لتلبية حاجاتهم ضمن منظومة من السلم، فالخيار السلمي خيار استراتجي لأهالي هذه المنطقة، والحالة السكونية المجتمعية التي شهدتها سوريا قبل الثورة السورية لا تنطبق على منطقة الجزيرة. فالحراك المدني في مدن هذه المناطق لديها من الإرث والتجربة لدى تنظيماتها وأبنائها تستطيع أن تخلق حالة تفاعلية تلبي حاجات الناس.

وقد أقيم في هذه المدن الكثير من المبادرات والمجالس السلمية التي اقتصر عملها في التدخل في نزاعاتٍ وخلافاتٍ فردية، لم تكن لهذه النزاعات القدرة على تغذية صراعٍ عنفي طائفي أو عرقي، وتحدّث الكثير من المنظرين عبر ندواتٍ ومحاضراتٍ ولقاءات عن تهديد السلم الأهلي في المنطقة دون التطرق إلى معطياتٍ تؤيد نظريتهم أو حوادث يستشهدون بها، عدا حوادث فردية تحصل أينما كان وفي أي وقت كان.

لا يعني بالضرورة أن الوعي السائد بأولوية السلم الأهلي والمخاوف المترتبة عليها هو وعي يتسم بالاتساق والوضوح المفهومي والمنهجي. سنواتٌ من التعتيم والسكونية الاجتماعية والسياسية نتج عنها مفاهيم عن السلم الأهلي مبنية على أسسٍ خاطئة، انعكس من خلالها مفهوم العقد الاجتماعي السائد في سوريا «**القمع مقابل الأمن**»، هذا العقد الذي عملت عليه السلطة في سوريا في العقود الماضية مولدةً ثقافة الخوف من التغيير وحياةً اجتماعية ذات صبغة أمنية.

يعمل ناشطون في المجال المدني في منطقة الجزيرة على برامج حول تحليل واقع الجزيرة السورية، ترتكز على المنهجية النقدية في خلخلة الأفكار والمفاهيم الراسخة، مما قد يفتح المجال لتشكل أفكار ومفاهيم جديدة على أنقاض التصورات السائدة، ويساهم في إنتاج معرفةٍ مجتمعيةٍ جديدة، سواء على المستوى البحثي أو مستوى الثقافة الشعبية المتداولة، ويقوم المنهج على فصل القول الأيدولوجي في خطاب السلم الأهلي، عن الفعل المعرفي الأكثر مصداقيةً وتحييد عوامل النزاع الأهلي وإيجاد مشتركاتٍ اجتماعية جديدة، وتعزيز صماماتٍ للسلم الأهلي كانت سائدة.

كما بدأ ناشطون في بيت مانديلا بإطلاق برنامجٍ من الجلسات الحوارية تشارك فيها شخصياتٍ من مختلف الشرائح في المجتمع، يراعى في المشاركين التنوع العرقي والثقافي والإثني في المنطقة، والفوارق التعليمية والطبقية في المجتمع، وتناقش في الجلسات عوامل السلم الأهلي والنزاع الأهلي في الجزيرة السورية عبر حوارات ونقاشات بين المشاركين، كما سيتم توزيع استبياناتٍ على الناس لإبداء آرائهم وتصوراتهم في هذه القضية، برنامجٌ يشارك فيه أكبر عدد ممكن من المدنيين، للوصول إلى مُخرجات جديدة عن السلم الأهلي، وتشكيل تصورات جديدة عن الواقع المجتمعي في المنطقة.

تحدث لنا أحد إداريي بيت مانديلا: «**بيت مانديلا، بيت شبابي مستقل، يحمل قيم السلام والتسامح والحرية، وعندما نفكر بالسلم نفكر بالشباب أن هؤلاء من يُزرع فيهم فكر الحقد والعنف والكراهية، وهم أنفسهم من نستطيع أن نزرع فيهم قيم المحبة والسلام، فهم الأرضية الخصبة لبناء السلام**».

كما تحدث ناشطٌ في المجال المدني، أن الكثيرين يحاولون زعزعة السلم في منطقة الجزيرة، عن طريق الإشاعات وبث روح الطائفية والتقوقع في زوايا مجتمعاتهم الضيقة، ولكن وجود صمامات أمانٍ في ثقافتنا وتراثنا في هذه المنطقة كانت السد في وجه هذه المحاولات.

أشعلوا شمعةً خيراً من عتمة تنشرونها بأفكاركم، لدينا من التشاركية المجتمعية ما نستطيع من خلاله أن نحجّم الأطماع السياسية، دعونا نعش بسلام، أنتم تشعلون الحروب كي تغطوا على هزائمكم.

عهد المرتزقة الرقميين

مراسلون بلا حدود

«**لقد اعتُقِلَ حاسوبي قبلي!**».

كانت هذه ملاحظةً ثاقبة نطق بها ناشطٌ سوري تعرّض للاعتقال والتعذيب على يد عناصر نظام بشار الأسد. يروي كريم تيمور، الذي وقع في شباك المراقبة الإلكترونية، لمراسل صحيفة بلومبرغ١ كيف أن عناصر الأمن التي كانت تستجوبه، أُحضرت له يوماً حزمةٌ من أكثر من ألف صفحةٍ تتضمن تفاصيل عن محادثاته الإلكترونية والملفات التي كان يتبادلها عبر سكايب. لقد كان جلادوه يعرفون عنه الكثير، كما لو أنهم كانوا يقيمون معه داخل غرفته، أو بالأحرى في ثنايا حاسوبه.

تمثل المراقبة أو الرصد الإلكتروني خطراً محدقاً بالصحافيين والمدوّنين والمواطنين الإلكترونيين والمدافعين عن حقوق الإنسان.

في عام ٢٠١١، بثّ موقع ويكيليكس ملفات الجوسسة، وهي وثائق تكشف مدى توسّع نطاق سوق الرصد والقيمة المالية التي يمثلها، (**أكثر من ٥ مليار دولار**)، إضافةً إلى الأدوات المتطورة المعروضة.

لكن هذا لا يعني أن الرقابة بطريقتها الكلاسيكية قد اختفت. فالشرطة لا يزالون يحومون حول مقاهي الإنترنت في إريتريا، والمنشقون في فيتنام ملاحقون، وأحياناً يتعرضون للأذى على أيدي عناصر الشرطة المتخفين في زيٍّ مدني، ولطالما تحمَّل المعارض الإلكتروني الصيني هو جيا وزوجته زين جيانغ وجود عناصر الشرطة أسفل عمارتهما أشهراً طويلة. كما وجدت أجهزة الاستخبارات راحتها بفضل أجهزة التنصت على المكالمات الهاتفية للصحافيين الفضوليين، أما اليوم؛ فقد صار مَجالُ المتاح مفتوحاً أمام الحكومات بفضل الخدمات التي يقدمها الرصد الإلكتروني.

تعالج نسخة عام ٢٠١٣، من تقرير أعداء الإنترنت، موضوع الرصد بمعناه المتعلق بالنشاط الرقابي الموجّه لمتابعة أصوات المعارضة، وما ينشر من معلوماتٍ حساسة، وهو نشاطٌ وُضِع خصيصاً للحفاظ على راحة أنظمة الحكم القائمة وحمايتها من كل خطرٍ محتمل من شأنه أن يهزّ أركانها.

صورة المادة الأصلية

بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الرقابة الإلكترونية، الذي يصادف الثاني عشر من شهر مارس/آذار من كل عام، تم نشر قائمةٍ أولية تتضمن خمسةً من «**أعداء الإنترنت**»، تجمع القائمة دولاً دأبت على ممارسة رصدٍ نشطٍ تطفلي على الإعلاميين، الأمر الذي يفضي إلى انتهاكاتٍ خطرة لحرية الإعلام وحقوق الإنسان. ويتعلق الأمر هنا بكل من سوريا، الصين، إيران، البحرين وفيتنام.

بالمقابل، هنالك قائمة منشورة لخمس "**شركات عدوة للإنترنت**"، أو بالأحرى "**مرتزقة العصر الرقمي**". لقد تم انتقاء كل من:غاما، تروفيكور، هاكينغ تيم، آميسيس وبلو كوت، في هذا الإحصاء غير الشامل، والذي سيتمدد خلال الأشهر القادمة. لقد كانت منتجات هذه الشركات عرضة للاستعمال من قِبَل السلطات لارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان وحرية الإعلام.

كشفت تحقيقات أجرتها صحيفتا بلومبرغ، و وال ستريت جورنال، وباحثون في مركز سيتيزن لاب بجامعة تورونتو، أن تقنيات رصدٍ مستعملة ضد معارضين ومناضلي حقوق الإنسان في بلدان مثل مصر، البحرين وليبيا وردت من شركاتٍ غربية. في هذا التقرير، تم ضبط نوعين من المنتجات التي تعرضها الشركات: تجهيزات تنصُّتٍ واسع النطاق لرصد الشبكة في مجملها، وأيضا برامج تجسسية، وعتادٌ آخر يسمح بعمليات رصد محددة.

تُستعمل هذه البرامج التجسسية للتجسس على محتويات الأقراص الصلبة في حواسيب أخرى، سرقة كلمات السر، والاطلاع على مضامين الرسائل الإلكترونية أو التجسس على المحادثات التي تجري عبر شبكة الإنترنت. يمكن لهذه البرامج أن تثبَّت مباشرة داخل الحواسيب أو بإرسالها، عبر الشبكة، كمرفقات في رسائل إلكترونية من دون أن تثير انتباه المستخدِم. الاستعمالات المدنية لهذا النوع من البرمجيات محدود. هناك منتجون يزوّدون المؤسسات الرسمية مثل مصالح الاستخبارات وأجهزة الأمن بهذا العتاد بطريقةٍ مباشرة، ومنهم الذين لا يتورّعون عن الترويج لقدراتهم على رصد وتقفي المعارضين السياسيين. تستعمل هذه التقنيات في الأنظمة الشمولية للتجسس على الصحافيين ومصادر أخبارهم بغية تقويض حرية الإعلام.

لبعض التكنولوجيات استعمالٌ مزدوج، فهي تُستعمل لغاياتٍ شرعية من أجل مكافحة الجريمة الإلكترونية، كما يمكن أن تتحول إلى أدواتٍ خطرة لممارسة الرقابة ورصد المدافعين عن حقوق الإنسان والإعلاميين عندما تصل إلى أيدي الأنظمة الشمولية. إن نقص تأطير تجارة هذه «**الأسلحة الرقمية**» يتيح للحكومات الشمولية تحديد هويات مواطنين صحافيين للانقضاض عليهم.

إن منظمة «**مراسلون بلا حدود**» تطالب بفرض مراقبةٍ على عمليات تصدير التكنولوجيات وعتاد الرصد إلى البلدان التي تعبث بالحقوق الأساسية؛

إذ لا يمكن ترك هذا الأمر بين أيدي القطاع الخاص، لا بد للمشرِّع أن يتدخل. لقد منع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة تصدير هذه التكنولوجيات إلى إيران وسوريا، وهو قرار محمود يجب أن لا يظل معزولاً، فعلى حكومات الاتحاد الأوروبي أن تتوافق على مسعى منسجم من أجل مراقبة عمليات تصدير تكنولوجيات الرصد، كما يتعين على إدارة الرئيس أوباما أن تتبنى هذا النوع من التشريع، مثلما هو الشأن بالنسبة لقانون الحرية الإلكترونية الشاملة (**GOFA**).

وكأن الديمقراطيات صارت تتنازل تدريجياً لصالح ما بات يُعرف بالمراقبة الضرورية والأمن الإلكتروني بأي ثمن، ودليل ذلك تعدد مشاريع ومقترحات القوانين التي تحمل في طياتها مواد قامعة للحريات، وتجيز بسط رقابةٍ شاملة.

إن قانون المراقبة الاستخباراتية الخارجية: (**FISAA**) وقانون تبادل وحماية الاستخبارات الإلكترونية (**CISPA**) في الولايات المتحدة، ومشروع قانون بيانات الاتصالات في المملكة المتحدة، أو التشريع المتعلق بجرائم الإنترنت في هولندا، وغيرها، كلها نصوصٌ تضحي بحرية التعبير على مذبح محاربة الجريمة الإلكترونية (**لمزيد من المعلومات، راجع فصل "جولة في عالم الرقابة الإلكترونية**). إن تصديق أنظمةٍ معروفة تقليدياً باحترامها لحقوق الإنسان، على هذا النوع من التشريعات الخانقة للحريات من شأنه أن يقدم مبررات لحكام الدول القمعية الذين يحصنون أنفسهم بترسانةٍ تشريعية ضد الأصوات الناقدة.

إن من شأن السعي الحثيث وراء الرقابة الإلكترونية والتهوين من أمر الرصد الإلكتروني أن يؤديا إلى التراجع عن نمط التواصل الإلكتروني (**الإنترنت**) كما أراده مؤسسوه أن يكون، فضاءً للتبادل والحريات، عابراً للحدود. فضلاً عن ذلك فإن الإنترنت يدفع ثمن صراعات النفوذ بين الدول. إن تعميم الرصد يُعدُّ ضمن الرهانات الكبرى لأولئك الذين يكافحون من أجل حوكمة النت. خلال المؤتمر العالمي للاتصالات الدولية الذي احتضنته دبي عام ٢٠١٢، أيدت الصين مقترحاً موجهاً لتعميم رصد خدمات الاتصالات الدولية على الإنترنت بطريقة تعسفية. وقفت إلى جانب الصين دولٌ أخرى هي روسيا، المملكة العربية السعودية، الجزائر والسودان، والهدف كان الطعن في دور مؤسسة (**آيكان**) في توزيع أسماء المجالات وعناوين الملقمات التعريفية، وحماية أمن الشبكات٢.

الإعلاميون باتوا أمام معادلةٍ صعبة، وصاروا محاصرين بين مطرقة الحاجة إلى توفر حماية شخصية وتأمين مصادرهم الإلكترونية، وسِنْدان الحاجة إلى جمع المعلومات ونشرها. إن حماية المصادر لا تدخل فقط ضمن مجال أخلاقيات الصحافيين، بل هي تتعلق أكثر فأكثر بكيفية التحكم في حواسيبهم، مثلما يشير إلى ذلك المختص في قضايا الأمن الإلكتروني كريس سوغويان، في افتتاحية نشرتها صحيفة نيويورك تايمز.

إذا كان المراسل الحربي مهتماً بسلامته الشخصية، فإنه يجلب معه، قبل أن ينزل إلى الميدان، خوذةً وسترة واقية ضد الرصاص. كذلك على الصحافي أن يحرص على أن يتزود بـ «**عُدَّة النجاة الرقمية**» بمجرد أن يشرع في تخزين أو تبادل معلومات حساسة على شبكة الاتصالات، من حاسوبه أو هاتفه الخلوي. إن هذه العُدّة، التي توفِّرها منظمة«**مراسلون بلا حدود**» تدريجيا على موقع «**نكافح الرقابة**»، تشدد أوّلاً على أهمية تنظيف الوثائق المتضمنة بياناتٍ وصفية ثرثارة في العادة، وتوضّح كيفية استعمال شبكة المؤجّه البصلي أو الشبكات الافتراضية الخاصة من أجل حجب الاتصالات، وتقدِّم أيضا نصائح من أجل تأمين الاتصالات والبيانات على أجهزة الهواتف الجوالة، إلى غير ذلك من المعلومات الضرورية.

على الصحافيين والمواطنين الإلكترونيين أن يتعلموا جيداً كيف يقدِّروا مخاطر الرصد المحتملة ونمط البيانات أو الاتصالات الواجب حمايتها، حتى يجدوا الحل الملائم للحالة التي يكونون عليها، وأن تكون سهلة الاستعمال قدر الإمكان. في مواجهة الوسائل المتطورة التي يستعملها الرُّقباء وأجهزة الاستخبارات، تظل براعة الإعلاميين والنشطاء الإلكترونيين الذين يدعمونهم أمام اختبارٍ عسير. لكن مستقبل حرية الإعلام يبقى معلقاً بمآل هذه القبضة الحديدية. معركة بلا قنابل، وبدون قضبان السجون، وبلا رقابة على الصحف، لكنها معركة قد يفرض فيها أعداء الواقع والحقائق سيطرةً مطلقة إذا لم نحترس.

خاص موقع مراسلون بلا حدود

١– طالع تقرير صحيفة بلومبرغ، قراصنة دمشق

٢– كان الغرض من المؤتمر العالمي للاتصالات الدولية المنعقد في دبي في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٢، توحيد المقاييس والمعايير المستعملة على شبكة الإنترنت. إحدى المعايير المقترحة في المؤتمر كانت تعميم استعمال تقنيات حزمة التفتيش المعمقة، هذا النوع من التكنولوجيا شديد التغلغل، حيث يسمح بالاطلاع على مضامين الرسائل الإلكترونية المتبادلة، وكشف محادثات الدردشة وأيضا الاطلاع على مجمل ما تصفحه مستخدم الإنترنت.

المصدر: موقع مراسلون بلا حدود
٢٠١٣-٠٣-١٢

ماذا يريد السوريون في جنيف ٢
في ندوة مفتوحة على بيادر سوريا

خاص حنطة

نظمت حنطة بالتعاون مع مركز بيتنا سوريا في مدينة غازي عنتاب التركية، بتاريخ٠٩-٠٢-٢٠١٤ ندوة جمعت عضوي الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، زكريا السقال وبسام يوسف، ووزير النقل والنفط والاتصالات في الحكومة السورية المؤقتة، محمد ياسين النجار، ونائبة رئيس الائتلاف عضو الوفد المفاوض في جنيف نورا الأمير، وأدار الحوار رئيس التحرير في مجلة حنطة ناجي الجرف، وسجل الحضور في الندوة من الشباب والناشطين والسوريين المقيمين في مدينة غازي عنتاب، حالة ديمقراطية تفاعلية عالية، ثمنها الضيوف والمشاركون، وعكست انطباعاً إيجابياً بجدية نوايا العمل من أجل المستقبل، لدى جميع العاملين في الحقل السياسي والإعلامي.تناولت الندوة واقع مؤتمر جنيف٢ للسلام في سوريا، وآفاقه واحتمالاته ومآلاته، واشتكى الناشطون في حديثهم المفتوح مع ضيوف الندوة، من ثغرات عدة شابت تحضيرات المعارضة للمؤتمر، كما طالت الانتقادات أداء الوفد إعلاميا وتقنيا، وافتقاره إلى أدوات حية للتواصل مع الداخل وترتيب الأولويات وفق احتياجات المناطق المحررة والثوار على الأرض والوضع الكارثي الذي يعيشه المدنيون في المناطق المحاصرة.

ولم يخف عضو الائتلاف زكريا السقال أن لدى الائتلاف فعلاً نواقص في الأداء، لكنه أشار أيضاً إلى أنه لم يكن بالإمكان أفضل مما كان، وأوضح أنه يرى في هذه المسألة، أن دعم الائتلاف وتأمين الرافعة الشعبية والالتفاف الواعي حوله كمظلة سياسية تقود التحرك السياسي لإسقاط النظام بالتوازي مع العمل العسكري الثوري على الأرض، ما زال سبيلاً متاحاً وقابلاً لإنتاج تغيير نوعي باتجاه تحقيق الانتقال الديمقراطي في سوريا.
ورأت عضو وفد الائتلاف إلى جنيف نورا الأمير أن الوفد حقق بعض الإنجازات التي رأت في التغاضي عنها إيقاعاً للظلم بحق وفد المعارضة، موضحةً أن العمل جار دائماً وبنشاط في مكاتب الائتلاف والمؤسسات التابعة له لتوثيق وأرشفة انتهاكات النظام، وحشد إجماع دولي على حتمية إزاحة الأسد كشرط أساسي لتحقيق سلام مستقر ودائم في سوريا والشروع في عملية انتقالية تنقذ البلاد من دائرة العنف المفتوحة التي أنهى إليها النظام واقع الحال.
الهموم المحلية وهاجس دعم المعارضة المسلحة وتأهيل الجيش الحر وفق بنى مؤسساتية، ورفد العمل الإعلامي والتنموي والخدمي في المناطق المحررة، كلها هواجس حضرت في اللقاء الثري والودود والمباشر، إلى جانب جنيف وتعقيداتها.
وأقر ضيوف صالة بيتنا سوريا بأن المعارضة السورية تقليدية في أساليب عملها، وأن التعويل هو على طاقات الشباب والحراك الثوري في الداخل، الذي لم يتوقف لحظة واحدة برغم الموت اليومي والدمار.
أحد المعلقين من الحضور قال: «إنه ائتلافنا، أعجبنا أم لم يعجبنا، أقنعَنا أو لم يفعل، ليس أمامنا إلا دعمه دائما والتعاطف معه عملياً في معركته السياسية. كل ما نقوله من انتقادات هو من باب الحرص على أداء سياسي يتسق والزخم الثوري العالي الذي يبديه المقاتلون والأهالي على الأرض».
الصبر وتمثل قيم الثورة السورية بغض النظر عن المتغير السياسي، هو ما اتفق حوله المشاركون من حضور وضيوف في الندوة، واتفقوا فيما عدا ذلك، على الاختلاف، الاختلاف كأساس لسلوك ديمقراطي سوري، يفتح الأبواب لعملية سياسية شفافة ويؤكد على أهمية وراهنية وجود رقابة شعبية دائمة على أداء النخب السياسية، نحو مزيد من الثقة والعمل يدا بيد من أجل ما يطلبه السوريون بلا كلل منذ أطلقوا ثورتهم: الحرية.

HAWA
SMART

إذاعة هوا سمارت
راديو الكل
العاصمة أون لاين
سوريالي

دمشق.حمص.حماه 103.2

حلب.ادلب.اللاذقية.دير الزور 99.6

من الساعة

6 الصبح - 12 مساءً

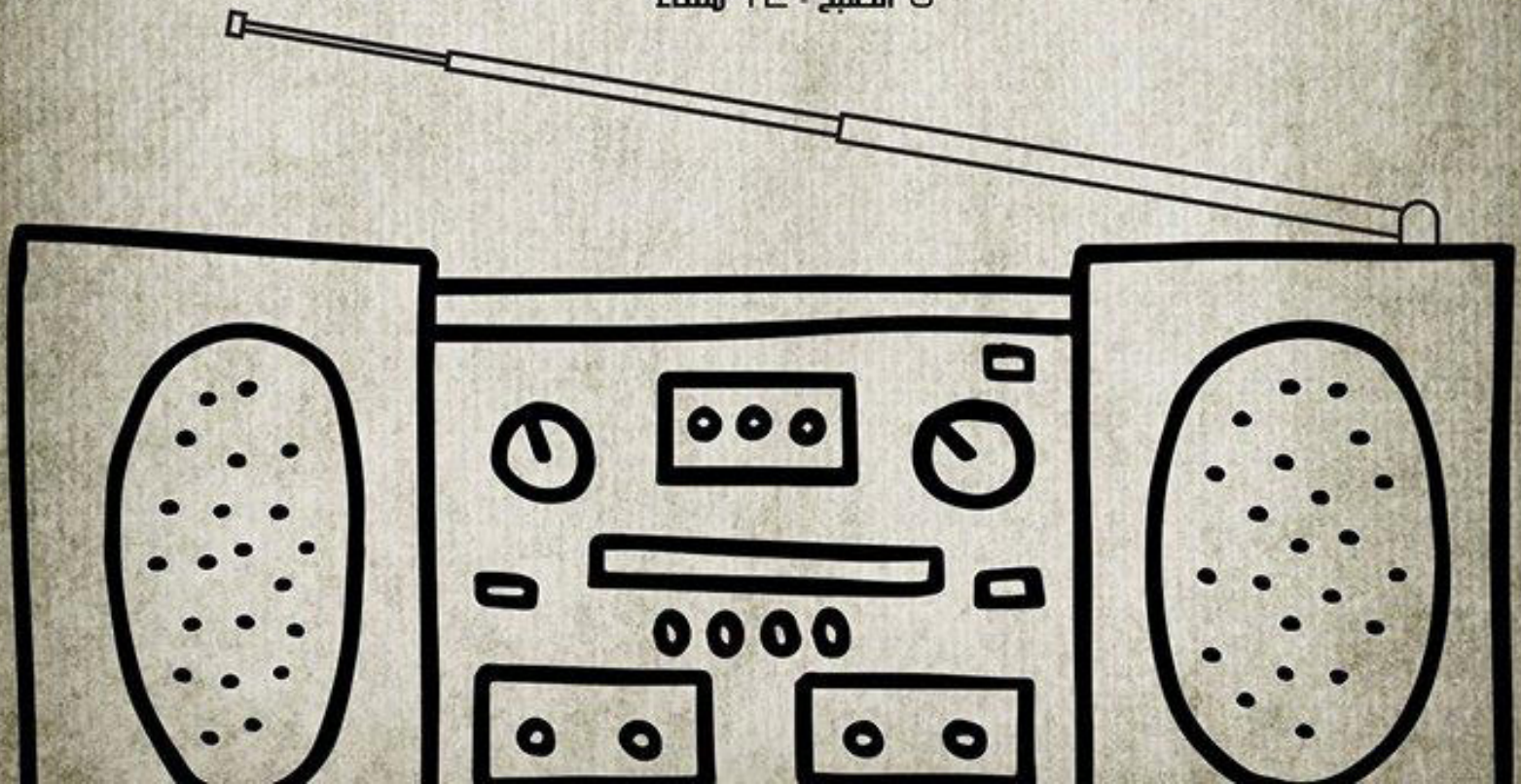

سوريا ١٩٨٢ ذكرى مجزرة حماة.. درس للأسد حتى اليوم

ترجمة عمر الأمين

دافيد أرنولد.. ٣-٢-٢٠١٢
من موقع أصوات الشرق الأوسط middle east voices

بعد اشتباكاتٍ عنيفة بين القوات الحكومية والمتمردين الإخوان المسلمين في عدة مناطق مضطربة عام ١٩٨٢، أمر الرئيس حافظ الأسد بدخول القوات العسكرية إلى مدينة حماة، حيث عملت الدبابات والطائرات السورية على قصف مدينة حماة، في حين قام الجنود بإخراج المدنيين من منازلهم وإعدامهم على الفور.

قُدر عدد المدنيين الذين لقوا حتفهم في حصار مدينة حماة ما بين ١٠٠٠٠ و ٤٥٠٠٠ مدنياً.

فتاةٌ سوريةٌ أميركية تعود جذورها إلى مدينة حماة، روت في الآونة الاخيرة قصصاً سمعتها من أفراد أسرتها الذين نجوا من المجزرة ولجأوا إلى بيت أبيها في دمشق.

تقول رنا الحموي: «كان عمري ١٦ عاماً، وكنا نسمع كل يوم عن تلك القصص المرعبة. أستطيع أن أتلو عليك ما يمكن أن يملأ كتباً من القصص عن كل شخصٍ كان في المدينة وماذا شاهد هناك، حتى الآن كل ما أراه في الحياة هو تلك السحابة السوداء التي رافقتني منذ زمن طويل».

سحابة سوداء تمر فوق مدينة حماة

تعمل رنا الحموي الآن كمدرسة، وتعيش على ساحل الخليج في الولايات المتحدة الأميركية.

لقد رفضت إعطاء اسمها الحقيقي حين أجريت معها هذه المقابلة، لأن أعمامها وعماتها ما زالو يعيشون في مدينة حماة، وهي تخاف عليهم من انتقام حكومة بشار الأسد نجل حافظ الأسد.

في الذكرى ال ٣٠ لمذبحة حماة لا يوجد علامةٌ على بداية أو نهاية جهود بعض النشطاء لإنهاء حكم الأسد السياسي الذي استمر لأكثر من ٤٠ عاماً، تتحدث رنا: «كانت الدبابات السورية تقصف مدينة حماة ، محاولةً أن تقمع الاحتجاجات المناهضة للحكومة على الصعيد الوطني، والتي استمرت ١٠ أشهر، وكانت الاشتباكات مستمرّة ومتكررة على نحوٍ متزايد بين وحداتٍ تم تشكيلها مؤخراً من المنشقين عن جيش الأسد وبين قوات الأمن وميليشيات الشبيحة الموالين للنظام من جهة أخرى.

صورة المادة الأصلية

حماة هي مدينةٌ قديمة ومزدهرة، يوجد فيها عدد كبير من السكان المسلمين السنة المحافظين، ويقدر عددهم بحوالي ٧٠٠٠٠٠ ، في عام ١٩٨٢ كان العديد من سكان حماة يعارضون نظام الأسد المتنكر بالقومية العربية والسياسات الاشتراكية».

تقول بعض التقارير عن المذبحة: أمر حافظ الأسد شقيقه رفعت الذي كان يدير القوات الخاصة بتوجيه حملةٍ للقضاء على جماعة الإخوان المسلمين في مدينة حماة، وأرسل الرئيس رسالةً عبر الاذاعة يحذر فيها جميع سكان حماة بأنهم إذا لم يخلو المدينة خلال ٢٤ ساعة فانها تعتبر حاضنةً للمتمردين.

وأضافت الحموي قائلةً لموقع أصوات الشرق الأوسط: «لم أصدق ذلك إلا بعد أن تمت محاصرة المدينة بالفعل، حيث بدؤوا ليلاً بجلب الجنود إلى المدينة والمروحيات والدبابات، وتم تطويق المدينة ببطء في الليل». وفي اليوم التالي استيقظ الناس على أصوات القصف.

مالذي كان يبحث عنه الجنود؟

«أحد أفراد أسرتي كانت امرأةً غنية جداً تعيش مع ابنها في فيلا كبيرة، دخل الجنود عليهم ونهبوا الفيلا وأخذوا كل شيء، وبعد أن نهبوا المكان قاموا بصب الكاز على المرأة وابنها، وأحرقوهما مع المنزل، لقد كانت تبلغ ٨٠ عاماً وابنها يبلغ ٦٠ عاما» وأضافت: «في نفس الحي، وعلى بعد بنائين كان هناك أسرة تمتلك ورشةً لنجارة الخشب، اقتادوا جميع أفراد الأسرة إلى ورشة النجارة وأطلقوا النار على حوالي ٢٥ شخصاً منهم»

إبادة مساكن الأسرة

تتابع رنا: «تلك الأسرة كانت تسكن في بناءٍ واحد، حيث تجد الأبناء والأعمام والعمات وكل أفراد الأسرة يعيشون على مقربةٍ من بعضهم البعض، وكان الحي كله عائلةً واحدة، لذلك أخذوا جميع أفراد الأسرة إلى ورشة النجارة وقتلوهم وأحرقوهم مع المكان هناك.

سيدة أخرى من عائلتي رفضت مغادرة منزلها وقالت: لا أحد سياتي، لذلك سوف أبقى في المنزل... جاء الجنود، ونهبوا المنزل، كان في معصميها أساور من ذهب، فقاموا بقطع يديها

وتركها تنزف حتى الموت، لم يعرف أحد ماذا حدث معها، حتى بدأت الأمور تهدأ.. بعد أربعة أسابيع ذهب الناس إلى المنزل ورأوا جسدها الفاسد»

تتابع الحموي الحديث بسرعة عن قصة أحد الآباء الذي كان يتوسل للجندي قائلا له: «أرجوك ولدي رضيع عمره ١٤ شهراً، أرجوك لا تجعله يتيماً». فقال له الضابط: «إذن لا تريده أن ينشأ يتيما، حسناً لن أجعل ابنك يتيماً» وقام برمي الطفل والأب وباقي أفراد الأسرة بالرصاص.

وأضافت الحموي: «من من أخبرنا بذلك كان أحد الجنود المنشقين عن جيش الأسد، قال لنا أنه لن يكون مع جيشٍ من هذا القبيل، لقد عاد ليخبرنا عن ماحدث لهذه العائلة».

حماية الأهالي من العصابات

في احدى ضواحي المدينة، والتي تسمى حماه الجديدة، وقف الجنود في الشارع في حين استخدم أحد الضباط البوق لاستدعاء السكان للخروج من منازلهم، كان ينادي:«الكل ينزل الى الشارع. النساء والاطفال والجميع»، مشى بعض السكان الى الشارع .. فقال الضابط:«ليس هؤلاء هم فقط أبناء الحي.. نريد من الجميع أن ينزلوا.. لا تخافوا.. ثقوا بنا، نحن نريد من كل الناس، في الحي أن يتجمعوا هنا» قال الضابط بأنهم حقيقةً يعرضون عليهم حمايتهم من العصابات التي تريد قتلهم.

«إثر تلك التطمينات استشعر سكان الحي أنهم ربما كانوا بأمان»، وقالت رنا:«انضم أكثر السكان إلى جيرانهم في الشارع، وبعد ذلك ذهب الجنود والضباط وداهموا المنازل وأخذوا من بقي بها وحفروا حفرةً كبيرة أشبه بالخندق، وأطلقوا الرصاص على السكان وألقوا بهم في الخندق، يقول الناس أن عدد من قتل في تلك المجزرة في ذلك الحي وصل إلى حوالي ١٥٠٠ شخصا»

طلبنا من رنا تقدير الذين لقوا حتفهم في الحصار، تقول رنا: «لدينا أسماء الذين قتلوا، كما قلت لك بأن الناس في حماة عاشت قريبةً جداً من بعضها، وبالتالي فإن العدد على الأقل، على الأقل» وكررت عبارتها للتأكيد «حوالي ٤٥٠٠٠ شخص قتل في شهر»

حماة آنذاك.. والآن:

في تلك الأيام في حماه كان الجنود، جنود الأسد

مدينة حماة ١٩٨٢

هم من يرتدون الزي الرسمي، وكانوا يُدربون على اتباع الأوامر، ولكننا الآن نشهد فئةً جديدةً مختلفة، بعض الناس يسمونهم بـ «الشبيحة».

أبناء هذه الفئة كانوا في السجن، والبعض منهم تم شراؤهم من قبل الحكومة، بحيث قدمت الحكومة لهم حريتهم مقابل أن يقتل لأجلها، وتلك هي مكونات فئة الشبيحة بالإضافة إلى الجنود ورجال الأمن.

السوريون في الشتات يترددون في التحدث مع أصدقائهم وأقاربهم في سورية حول المواضيع السياسية على الهاتف، والذي يعد إحدى أدوات سيطرة الحكومة، خدمات الإنترنت لا يعوَّل عليها كثيراً لكنها تقدم بعض وسائل الاتصال الآمنة، تقول رنا أنها تجاذبت أطراف الحديث عبر الإنترنت مع ابن عمها في وقتٍ سابق من هذا الاسبوع، ولدى سؤالها: «هل أنت آمنة؟»، قالت: «أنا أتساءل فيما لو استطعتم سماع ما نسمعه، هل سيكون بإمكانكم أن تحتفظوا بقدرتكم على السمع؟ يقول ابن عمي أنهم يعيشون تحت القصف والقتل لوقتٍ طويل، ليس هناك كهرباء، ويمتد حظر التجول لمدة تسع ساعات في اليوم، ليس لدينا وقودٌ للطهي والتدفئة، نحن نخاف من الخروج من المنزل، كل مانملكه كميةٌ صغيرة من الطحين لصنع الخبز».

ولدى سؤالها فيما اذا كان ابن عمها آمناً قالت: «لا أعلم إن كان كذلك، فقد كتب لي في ظهيرة اليوم قائلاً: أجلس في الليل وأنا غير قادرٍ على النوم بسبب القصف، وأقول لنفسي إن كانت هذه هي آخر ليلةٍ لي في هذه الحياة ، فلتكن، أنا لا أستطيع أن أفعل أي شيء»

لقد هدم جزء من منزل ابن عم رنا بسبب قصف الدبابات للأحياء، تستطيع أن ترى الجثث في الشارع لكن لا أحد يجرؤ على الذهاب لإحضارها، هنالك قناصةٌ في كل مكان، كل من يتحرك باتجاه الشارع يتم قنصه على الفور.

تتابع رنا: «قال لي أقاربي بأن الشيء الأكثر رهبةً هو أن ترى بعض الهيئات البشرية تتحرك على مسافةٍ منك وهي على قيد الحياة، جرحى يلفظون أنفاسهم ويعانون حتى الموت ولا يمكن لأحدٍ أن يذهب لإحضارهم».

كيف سينتهي كل شيء؟

قالت الحموي: ستتضح أهمية العبر والدروس التي يمكن تعلمها مما حصل في حماه، سيحدث ذلك في الوقت المناسب.

أنا أعرف أن الولايات المتحدة بلدٌ بعيدٌ جداً عن سوريا، لكني أريد أن اقول شيئاً مهماً: إن الرؤساء هناك لا يبقون في الحكم ويورثونه كما في دول الشرق الأوسط، هناك توجد الحرية والعدالة، وسوف يأتي كل رئيسٍ ليبقى في منصبه بضع سنوات فقط، أرجو أن يسجل التاريخ بأن هنالك أعدادٌ من الشعب السوري قد قتلوا وتعرضوا للتعذيب ولم يُعاملوا كما البشر، لذلك أرجو أن تكون هنالك بعض الإجراءات المتخذة لوقف هذا العنف».

على الرغم من الجهود الدبلوماسية في الأمم المتحدة والجامعة العربية، وفرض عقوبات اقتصادية على نظام الأسد من قبل العديد من الحكومات الأجنبية، فان الصراع مازال مستمراً حيث تجاوز عدد القتلى المدنيين عدد القتلى الذين وقعوا في حماة قبل ثلاثة عقود.

قصص حموية، ليست خرافية، أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما..!

في ذكرى ٠٢-٠٢-١٩٨٢

عاصي الحموي

قصة قصيرة جداً رقم١

دق العسكر الباب، فتح لهم الأب، أخرجوه إلى الشارع مع أولاده الشباب الثلاثة، قالوا للأب: «اختر واحداً من أولادك لنقتله، وإلا نقتلهم جميعاً»، قال لهم: «اقتلوني أنا ودعوهم يعيشون»، قالوا له: «اختر واحداً وإلا نقتلهم سوية»، وبدأ العسكري بالعد إلى الخمسة كي يختار الأب، فقام الأب المسكين باختيار ابنه الأصغر جهاد، فأخذوه على الفور، وشرع جهاد بالصراخ: «ليش أنا يا بابا؟! شو عملتلك يا بابا؟! حرام عليك يا بابا والله حرام عليك!! والله أنا بحبك يا بابا ما كان بقصدي دايقك..» واستمر صراخ الابن إلى أن جاءته كميةٌ كبيرة من الرصاص أخرسته تماماً، وأخرست ما تبقى من أبيه وإخوته المذهولين إلى اليوم ربما.

انتهى. والقصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٢

دق العسكر الباب، أخذوا الشابين الأخوة من البيت، وضعوهما أرضاً، ثم جاء الضابط الأساسي، أمسك بسلاحه، وأدخل الحربة المسننة للسلاح في بطن الشاب الأول وفتحها وأخرج كبده من مكانه والشاب ما يزال حياً، قسم الكبد إلى نصفين متساويين، وأعطى نصفاً للشاب الثاني وقال له: «كول ولاك أحسن ما لحّقك بأخوك!»، انذهل الأخ وقد رأى الضابط يأكل النصف الأول من الكبد نيئاً، وأُجبر على أن يأكل نصف كبد أخوه نيئاً هو الآخر، وفعلاً نفذ الضابط وعده بأنه لن يقتله، بل أعاده إلى بيته بعد أن انتهى من أكل كبد أخيه نيئاً!.

انتهى. والقصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٣

بعد سبعةٍ وعشرين يوماً من الاجتياح، خرج الأهالي في مسيرةٍ مؤيدة، لم تكن مفبركة، ولم يأتوا بالناس من خارج المدينة، أهالي حماه نفسهم هم من خرجوا في مسيرةٍ مؤيدة، لأن الضباط قالوا لهم أن أبناءكم سيعودون سالمين إليكم إذا خرجتم في المسيرة، قالوا لهم: «سنراقبكم في المسيرة ومن لا يصرخ ويؤيد بصدق لن نعيد له ابنه»، صرخ الجميع بكل ما يملكون من قوة، وصورتهم القنوات الرسمية والأجنبية، لكن أحداً لم يعد..!

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٤

كانوا معتقلين في مدرسةٍ ما، في كل القاعات الدراسية يوجد معتقلين، عندما كانوا يسمعون اسم أحدهم ينادي به العسكر يترحمون عليه مباشرة، لأنهم يعلمون أنه سيُصفى في باحة المدرسة، الكل ينتظر المجهول في البرد والظلام، في إحدى القاعات، وُجد أكثر من ١٥٠ شخصاً، أحدهم كان مختلاً عقلياً، قام هذا المجنون بسحب قفل الباب وإرجاعه إلى مكانه وصرخ «تكبير»، سمع الصوت العسكر في الخارج على أنه تلقيم لسلاح ما، أو «خرطشة» كما يقال باللغة العامية، شرع العسكر بإطلاق النار من خلف الباب، قُتل من المعتقلين ١٧ شخصاً، ولم يمت المجنون، ولم يجرؤ العسكر على دخول الصف إلا بعد خمسة أيام كاملة، والجثث تتعفن بين المعتقلين، قال لي أحدهم أنه عندما حدث ذلك، كان يتكلم مع الشخص الذي يقف أمامه مباشرة، والذي يبعد عنه خمسة سنتيمترات، جاءته رصاصةٌ طائشة في الرأس مباشرة، قاطعت حديثه، وسقط بين يديه، لتستمر المجزرة..

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٥

القصف كان على أشده في شارع أبي الفداء في وسط المدينة، القذائف تنهال على البيوت بشراسة، تخترق الجدران وتقتل كل شيءٍ يمر في طريقها، بعد عدة ساعات من القصف، اقتحموا منزلاً ما، فتحوا الباب بالرصاص الثقيل، دخلوا البيت ووجدوا فيه عائلةً كاملة من النساء والرجال والأطفال مختبئةً في غرفة داخلية خوفاً من القصف، الأب قال لزوجته: «خلّيني أحمل الطفلة الصغيرة، يمكن ما يقتلوني إذا شافوها بين إيدي»، دخل العسكر الغرفة، وكانت أول من جاءتها رصاصة قاتلة هي الطفلة الصغيرة، صرخت الطفلة صرخة واحدة لا غير ورحلت، بقية الرصاص جاء سريعاً جداً للعائلة كاملة، تمكّن طفلٌ صغير آخر عمره سنة ونصف من الهرب من الغرفة إلى المطبخ، واختبئ تحت المجلى وهو يصرخ: «ما موت عمو ما موت»، إلا أن «عمو» العسكري قام برشه تحت المجلى مباشرة، وبكل برودة أعصاب، كأنه يرش التراب بالماء.

روتْ هذه القصة إحدى النساء التي كانت في نفس الغرفة والتي جُرحت بالرصاص وأغمي عليها مباشرة فظنّ العسكر أنها ماتت.. تركوهم ورحلوا، وبقيت هي شهيدةً حية!.

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٦

في أحد أيام المجزرة، في حي ما، وُجدت عائلة، مكونة من أم وأولادها في بيتهم الصغير، دخل العسكر عليهم بعد ساعات وساعات من القصف على الحي، فتحوا الباب بالرشاشات، واقتحموا المنزل، فقالت لهم الأم: «يا أهلا بمحررين الجولان، يا أهلا بقادة حرب تشرين..»، أمر الضابط الجندي المرافق له بأخذ العائلة إلى الغرفة الأخرى وتصفيتهم جميعاً، امتثل الجندي للأمر وأخذهم إلى الغرفة الثانية وقال لهم: «وقّفوا

ووجوهكم للحيط»، وقام بإطلاق النار على السقف قاصداً تفاديهم، وخرج من الغرفة وقال للضابط كاذباً أنه قام بتصفيتهم، وانتهى الأمر، لتستمر دهشة العائلة إلى يومنا هذا ربما.

انتهى. وهذه القصة حقيقة جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٧

في حماه حيٌّ قديم وأثري، اسمه حي الكيلانية، قُصف وهُدم تماماً، هذا الحي يقع على نهر العاصي مباشرة، نستطيع القول بأنه مشابه تماماً لأحياء مدينة البندقية أو «فيينا» في النمسا، استباح العسكر هذا الحي تماماً.

في هذا الحي عائلة، فيها أب وزوجة وابنة، قام العسكر باقتحام منزلهم واغتصبوا الأم والابنة أمام الأب المسكين، فقام الأب من شدة عجزه وقهره بسحب المسدس الموجود على طرف أحد العناصر وقام بقتل نفسه به، كي لا يشاهد ما تبقى من استباحة واغتصاب لزوجته وابنته.. ومدينته!.

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٨

في حي «الحاضر الصغير»، في ملجأ صغير ما، احتمى الأهالي بداخله، دخل العسكر وشاء القدر أن يكون فيه رجلٌ مع زوجته الحامل في شهرها التاسع، وشاء الجنين أيضاً أن يخرج إلى الحياة في نفس التوقيت، بسبب رعب الأم ربما، فقام العسكر بإجبار الزوج وارغامه على اخراج زوجته إلى الشارع لتلد أمام كل العناصر عارية، وأمام زوجها، وسط خراب وبركٍ من الدماء، بدافع التسلية بالوحشية والهمجية، التي لا تخطر على بال إنسان.

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم٩

في حماه جامعٌ قديم جداً، كان معبداً يهودياً، ثم كنيسة، ثم تحول إلى جامع في بداية الفتح الإسلامي لبلاد الشام، هذا الجامع اسمه الجامع الكبير، يقع الآن في حي «المدينة» المسيحي، تعرض الجامع الأثري لقصف المدفعية الثقيلة، وكان يدمر تدميراً كاملاً، بالقرب من الجامع يوجد كنيسةٌ قديمة أيضاً، اتصل مطران الكنيسة بمسؤولٍ أمني يعرفه، وقال له أنّ الجامع يقصف، وهذا الجامع أثريّ ولا يجوز ما يحصل له، قال له المسؤول: «نصف ساعة ويأتيك الجواب» وأغلق السماعة، بعد نصف ساعة بالضبط بدأت المدفعية بدكّ الكنيسة والجامع سويةً، وذلك كي يوصلوا رسالة إلى المطران أنهم لا يهتمون بأثريٍّ أو غير أثري، بجامعٍ أو كنيسة، بمسلمٍ أو مسيحي!.

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم١٠

عائلة حموية مسيحية، ربّ عائلتها كاهن، جاءت قذيفةٌ ما على بنائهم الذي يقطنون في إحدى شققه، فنزلوا سريعاً إلى الشارع دون أن يتسنّى لهم الوقت حتى ليلبسوا في أقدامهم شيئاً، عاد الرجال بعدها بقليل ليحضروا الذهب من البيت قبل أن يهربوا، فأمسك بهم العسكر وأوقفوهم على حائط ما كي يعدموهم إعداماً جماعياً، فبدأت النساء بالبكاء، وصرخن راجياتٍ ليتركوهم وهم يقولون: «هاد الزلمة خوري مسيحي، كلنا مسيحين، مشان الله اتركونا»، عندما تأكدوا أنهم مسيحين بحق قالوا لهم: «اركضوا لبرا حماه هلأ، واللي بيوقف وبيدير راسه لورا رح نعدمه مباشرة»، استمرت العائلة المسكينة في الركض دون توقف وأقدامهم عارية، وهم يتجاوزون الرصاص والقذائف العشوائية بصعوبة، إلى أن وصلوا إلى خارج حماه، ولم يستطيعوا المشي بعدها أسابيع طويلة من شدة الألم في أقدامهم، ومن شدة وهول ما رأوه في طريقهم!.

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

قصة قصيرة جداً رقم١١

في مدرسة ما، تحولت إلى مهجع لمعتقلين كثر، دخل السجانون إلى إحدى الغرف، وقالوا للمعتقلين: «بدنا خمس رجال يكونوا أبضايات لنعدمهم بساحة المدرسة وانتوا اختاروا ع راحتكن»، بدأ أحد الشباب بحثّ وتشجيع صديقه ليرفع يده ليكون واحداً من الذين سيتم إعدامهم في ساحة المدرسة، وفعلاً قام الشاب برفع يديه مع صديقه وتم اختيار ثلاثة آخرين معهم وعند خروجهم من الغرفة، طلب السجّان منهم أن يحضروا بطانياتٍ كانت موجودة قرب الدرج، استغرب الشباب الخمسة كثيراً من هذا الطلب لكنهم امتثلوا وأطاعوا الأوامر، وأمضوا بقية الوقت يقرؤون ما يحفظونه من القرآن ويرددون الشهادتين، استعداداً لموتهم القريب، وصلوا إلى الساحة المظلمة ووجدوا جبلاً كبيراً جداً لم يعرفوا ما هو، ولكن بعد أن تمعّنوا قليلاً اكتشفوا أنه جبل من الخبز أو «الصمون» كما يقال باللهجة العامية، أمروهم بفتح البطانيات وتعبئة الخبز فيهم، لقد أقسم الرجل الذي عبئ الخبز بأنه لو رميته على الأرض لسمعت صوته من شده قسوته و بياسه، ولكنهم كانوا مجبورين على أخذه لأنهم لم يأكلوا شيئاً منذ أربعة أيام، وبعد أن انتهوا من التعبئة أعطوهم دجاجةً واحدة والقليل من اللبن، فعادوا إلى المهجع (أي الصف الذي أُعتقلوا به) ووضعوا ما أخذوه على الطاولة لكي يأكل الجميع، لكن الأعداد كانت كبيرة جداً، بحيث كانت حصة كل معتقل صغيرةً جداً، ولا تكاد تكفي عصفوراً صغيراً، الشابان اللذان وافقا في البداية على أن يتم اعدامهما في الساحة بدلاً عن رفاقهم، لم يأكلا قطعةً واحدةً من الطعام، بعد مدةٍ قصيرة دخل السجانون ليشتمّوا رائحة الدجاج، ليعرفوا من أكل ومن لم يأكل!، وأخذوا هذين الشابين، ليعيدوهما لاحقاً غائبين عن الوعي من شدة الضرب والألم والتكسير!.

انتهى. وهذه القصة حقيقية جداً وليست خرافة أو تأليف عقل بوليسي لأحد ما!.

ثورة وبروليتاريا وشيوعيون

مصطفى الجرف

في أوائل الثمانينات كنت شاباً صغيراً، وكما جميع أبناء جيلي، كنت شيوعياً متحمساً أيضاً. بعد قراءة كتابين أو ثلاثة من كتب البرنامج التثقيفي الحزبي التي أذكر أن أحدها كان للمفكر الشهيد مهدي عامل والآخر للباحث البريطاني فريد هاليداي، تم اعتمادي كمثقفٍ ثوري. وكأي مثقف ثوري في تلك الأيام أصبحت تلقائياً طليعةً للبروليتاريا، وباتت مهمتي الأساسية في الحياة أن أقوم بنشر الوعي الطبقي في هذه الطبقة المباركة وأن أنظم صفوفها، ثم أقودها في معركتها الظافرة لبناء المجتمع الإشتراكي السعيد.

كانت تلك مهمةً مجيدة، وكنت أشعر بالفخر الشديد لأن الحتمية التاريخية اختارتني للقيام بها مع رفاقي في الحزب. ولكن سرعان ما تبين لي، ولهم، أن تلك المهمة الثورية ليست سهلةً أبداً. كانت الصعوبة الرئيسية التي واجهناها هي العثور أولاً على أفرادٍ ينتمون بشكلٍ شرعي إلى طبقة البروليتاريا هذه. كنا نمشّط الشوارع كل يوم باحثين عمن «لا يملك إلا قوة عمله ولا يمكنه أن يخسر إلا أغلاله» كما ينص التعريف الماركسي العتيد للبروليتاري، فلا نكاد نجد في مدينتنا الريفية الصغيرة (**سلمية**) شخصاً واحداً ينطبق عليه هذا التعريف؛ بحيث يسمح لنا شرعاً بأن نطور وعيه الطبقي بذاته وبما يؤدي إلى تثويره. لم نكن نجد من لا يملك منزلاً أو أرضاً زراعية صغيرة أو دكاناً أو دراجة نارية أو حتى دراجة هوائية أو جميعها معاً، مما سيجعله بالتالي من أصحاب الملكية الخاصة ممن ينتمون حتماً إلى طبقة البورجوازية الصغيرة وليس الى البروليتاريا المنشودة. وأما القلة النادرة ممن لا يملكون شيئاً فقد كانوا إما موظفين مدنيين أو مدرّسين أو طلاباً؛ أي أنهم كانوا بدورهم مثقفين ثوريين جاهزين لا يمكن تثويرهم زيادةً على ما هم عليه فعلاً. كان التناسب بين الطلب النخبوي الثوري على البروليتاريا والعرض الشعبي المحلي المتوفر مختلاً للغاية، بحيث كنا إذا اشتبهنا في انتماء أحدهم إلى هذه الفئة، ننقضّ عليه أنا ورفاقي جميعنا كما تنقض الوحوش على طريدة، ونتناهشه بيننا محاولين كلٌّ منا أن يضمه إلى خليته الحزبية الخاصة، وهكذا كان ينال الضحية البروليتارية المستهدفة أكثر من خمسة أو ستة كوادر يشبعونها تثقيفاً ثورياً. وقد رفعنا في ذلك الحين أصواتنا بالشكوى إلى قياداتنا الشيوعية من الراسخين في علوم المادية الجدلية والمادية التاريخية لكي يفسّروا لنا سبب هذه الحالة الشاذة التي لا تتطابق بالمرة مع النظرية الإشتراكية العلمية التي لا يأتيها الباطل من أمام أيديها ولا من خلفها، فأفادونا بأن المجتمع السوري لم ينتقل بعد بشكل كامل إلى الرأسمالية، وأن علينا الإنتظار بعض الوقت ريثما تكمل حتمية التطور الاقتصادي الاجتماعي عملها ويكتمل نضج نمط الإنتاج الرأسمالي في بلادنا ومعه طبقة البروليتاريا. كانت تلك خيبة أمل عظيمة حقاً وانتظاراً ممضّاً لوقتٍ طويل لم نجد فيه عملاً جدياً نفعله لكي نغير العالم ونخلد أسماءنا في التاريخ. ولكن مع ذلك، فإن صلابتنا الأيديولوجية منعتنا من التشكيك في صحة النظرية أو التخلي عنها. في أجواء الثقافة السائدة تلك الأيام، لم يكن هناك من نظريةٍ بديلة على أي حال. وكان أن ابتعدنا عن جموع الشعب هذا الذي لا بروليتاريا فيه، وانغلقنا في مجموعاتنا الضيقة على أنفسنا. وكنا في انتظار نضج «الظرف الموضوعي» للثورة، نشغل أنفسنا ونقتل الوقت في نقاشات ظريفة لا تنتهي حول طبيعة النظام السوري في عهد حافظ الأسد؛ مثلاً، هل هو بونابارتي أم فاشي، بوجوازي صغير أم بورجوازي بيروقراطي، وطني أم لا وطني؟ وفي تخمينات نظرية عجيبة من قبيل، ماذا ستكون طبيعة الثورة المقبلة؛ ديمقراطية بورجوازية أم اشتراكية، وهل التطور اللارأسمالي ممكن أم لا، وهل نتبع نحن لأسلوب الإنتاج الآسيوي؟.. إلى آخره مما يشبه هذه التمارين الذهنية المسلية. بطبيعة الحال، لم يمر وقت طويل حتى مللت من الإنتظار، وأصابني الإحباط من بطء عملية التحول الرأسمالية في مجتمعنا السوري. ثم جاءت نكبة انهيار الاتحاد السوفييتي ومعه المنظومة الشيوعية العالمية كلها. تخرجت من الجامعة وتزوجت الفتاة التي أحببتها وأنجبت البنين والبنات وانغمست في العمل لتأمين لقمة العيش.. المهم، نسيت تماماً أمر تغيير العالم. في هذه الفترة، أي منذ أواخر الثمانينات، بدأ النظام السوري باتباع نهج الانفتاح الإقتصادي. انتشرت المعامل الكبيرة والمؤسسات الاقتصادية الضخمة في البلاد، اتبعت سياسات مرنة في الإستثمار والإئتمان والإستيراد والتصدير وامتلأت الأسواق بالبضائع. وما هي إلا عشر سنوات حتى كانت سوريا تعج بطبقة بروليتاريا صناعية تملأ الأحياء الفقيرة التي تحيط بمدينتي حلب ودمشق. صحيح أن أصول هذه البروليتاريا ريفيةٌ في معظمها، ولكنها كانت مع ذلك مثاليةً تقريباً من الناحية النظرية وعلى ما يحب قلب ماركس! في ١٨ آذار من العام ٢٠١١ اندلعت انتفاضةٌ شعبية في درعا، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى باقي مناطق سوريا وتحولت إلى ثورةٍ شعبية عامة. كانت البروليتاريا السورية هي عماد هذه الثورة، وكانت جموعها الغفيرة تملأ الشوارع والساحات في المدن والبلدات والقرى في طول البلاد وعرضها. كان البروليتاريون الذين لم ينتبه إليهم أحد سابقاً يتجمعون في مظاهرات حاشدة، يهتفون ويغنون ويقرعون الطبول ويرقصون ويتلقون الرصاص بصدورهم، ويُقتلون كما الطيور فلا يخافون ولا يجزعون، بل يحتشدون مرة أخرى ويهتفون ويغنون ويرقصون ويقرعون الطبول وهم يودعون العصافير الشهيدة.

كانت ملحمةً بطولية لم يشهد التاريخ مثلها من قبل.. ولكنهم كانوا وحدهم؛ لم يكن المثقفون الثوريون الشيوعيون الذين انتظروهم طويلاً معهم! كانت تلك مفاجأة صغيرة سرعان ما علمتنا الثورة السورية أن نتجاوز صدمتها نحو أن نفهم معنى اليسار الشيوعي في سوريا وما هو بالضبط موقعه السياسي: معنى اليسار تحديداً هو يسار النظام السوري، أي بالضبط في المنطقة الأبعد عن مناطق الحشود الشعبية التقليدية!

من قصص الشعوب

لقمان ديركي

المهم ما لك بالطويلة يا أبو حسين اتفقنا مع المهرب أخو المحلوشة، أهم شي تعرف أنّو أخو محلوشة، اتفقنا معو إنو على الشخص ١٧٠٠ يورو وبيوصلنا على شي جزيرة من جزر اليونان، يا أمّا جزيرة اسمها ميتاليني يا أمّا جزيرة اسمها رودس، ١٥٠٠ للمهرب و٢٠٠ يورو لأخو الشليتة التاني صاحب المكتب، المهم ما علينا.. اتفقنا على اليوم يللي بدنا نطلع فيه، وحطينا المصاري بمكتب باسطنبول متل أمانة، وشرطك هالمصاري ما بيوصلوه للمهرب إلا إذا وصلنا على وحدة من الجزيرتين، أولاً المصاري ما بيشم ريحتهن لحتى نوصل، ثانياً إذا مسكونا ورجعونا كمان ما يحلم بالمصاري ، ثالثاً إذا ما وصلنا لرودس أو لميتاليني ما بنقبل، اسألني ليش؟ هاد يا سيدي لأنو رودس وميتاليني بيعطونا ورقة فوراً مشان نقدر نتجول فيها، وهيك يا أبو شريك اتفقنا على الطلعة بالقارب السريع، اسمه بلم، و طوله ٨ امتار والرحلة مكونة من ٢٠ شخص كلهم متلنا سواح بالصرماية على قولتك، ومدة الرحلة ٣٠ دقيقة وبنكون بالجزيرة، وهيك أمّنّا المصاري بالمكتب اللي أخد عَ الراس ٢٠ ليرة تركي، هي عمولته، هون في نقطة نسيت قلك عليها وهي أنو المكتب بيعطي صاحب المصاري شيفرة بالحوالة، وبس يوصل عاليونان بيتصل بالمهرب وبيعطيه الشيفرة، وبغير هي الطريقة ما بيقدر المهرب يستلم المصاري، وتوكلنا على الله ورحنا على المدينة التركية البحرية، قام بعتونا على أوتيل مشان ننزل فيه الله لا يرويك يا أبو حسين، بعرض خالتي حسيته معتقل، وقال شو؟! ٣٠ ليرة باليوم، غرفة مزدوجة قال.. يلعن روحهن، هاد الفندق تبع المهرب الراس تبعهن، المهم وصلنا لهنيك ونمنا، فقنا الصبح ورحنا بوشنا على موعدنا، انتظرنا للضهر مشان نتيسر، طبعاً الضهر بس اكتمل النصاب تبع السواح بلشت المفاجآت، على حد علمي كنا سوريين، بس بعد شوي صار في معنا أفارقة.. سودانيين صوماليين، وصرنا ٣٩ راس وبيناتنا ٥ نسوان، كنا ١٣ سوري، وواحد يمني عامل حاله سوري مشان ياخد لجوء بأوروبا، والباقي متل ما قلتلك أفارقة من اللي بيحبهم قلبك.. أشقاء، دقت ساعة الصفر طلعوا ٣٣ واحد بسيارة فان التحشوا فيها فوق بعض، وأنا ورفيقي طلعنا لحالنا، تأخرنا.. بتعرف إذا ما شربت قهوة ما بقدر أتحرك، المهم أخذنا تاكسي على منطقة التقينا فيها بشخص أخذنا لعندهم، واجتمعنا هنيك قام لحشونا بفان أكبر، وعينك تشوفني شلون كيَّفت وزهزهت على الروايح اللي عم تفوح بقلب السيارة، شي بيشهّي عَ السياحة والسفر، ضلينا مخنوقين شي ساعتين بالفان لحتى وصلنا للنقطة اللي رابطين فيها القارب، وبس هالأفارقة شافوا القارب حتى صاروا ينطوا من السيارة ويزتوا حالهن بالقارب، ونحنا نقلهن بالدور يا شباب بالدور يا أشقاء، المهم شلون وسعنا نحنا ال٣٩ شخص بالقارب ما بعرف، وشدّينا يا معلم، واشتغل على حظنا السياحي كبس المطر، وبلّش الموج يعلى، وكيَّفنا من الرعبة، لحتى صار اللي ما بيعرف الله يجود بهالآيات القرآنية، لأ وفوق اللي منها ما بيصير ندخن، قلنا يالله كلها نص ساعة وبنوصل، سألناه قديش معلم بدنا لنوصل؟ قال ساعتين ونص بالكتير، أهاه.. يا أهلين، الله يستر ما تصير ١٠ ساعات، طبعا من هال٣٩ شخص ٣٠ شخص كانوا عم يستفرغوا ويراجعوا، كل واحد استفرغ شي ٥٠ مرة، وهاد اللي داخ وهاد اللي حط راسه ونام، والساعتين ونص مرقوا ولسه الجزيرة بعيدة، والموج صار شي ٤ امتار بس عالخفيف، في اتنين ربك دينك إلا بدهن يرجعوا من قد ما ارتعبوا ، يطولكن يقصركن رايحين نوصل شو بكم؟ بالأخير لاستوعبوا، وقبل ما نوصل بكم كيلو متر شفنالك ضو يا معلم هاجم علينا، قام غيرنا الاتجاه، و تحت شعار اللي بيحب النبي يخلي شدّينا على أقرب نقطة بالإتجاه التاني البعيد عن الضو، وهيك لحتى وصلنا عَ الشاطئ، شاطئ ما بينوصف أبداً، وقبل ما يوقف البلم بلشوا الأشقاء الأفارقة يزتوا حالهن بالبحر، صرنا نقول لهم: انتظروا يا شباب.. استنوا شوي.. لك وصلنا، ما في.. مو مصدقين أنو وصلنا، وبلّشوا يسبحوا للشط، نحنا انتظرنا لحتى وصلنا ونزلنا والحمدالله عَ السلامة. اسألني قديش الساعة يا معلم؟! تنتين ونص بالليل، شفنا جبل بوجهنا قام طلعنا عليه، وبس صرنا فوق الجبل تفرقنا كل واحد اختفى بقرنة، صفينا أنا ورفيقي وعائلة سورية أب وابنه وبنته وأربع أشخاص من السودان الشقيق الشمالي، فتلنا شوي وقررنا نقعد لحتى يصير الصبح، وشغَّلنا هالحطبات يا معلم، أنا ما تركت ولا شجرة تعتب علي، مقهور، أصلاً ما حصل لي الشرف وقطَّعت شجر بسوريا، قام

هون طالعت الفرق، لك نسيت اقلك كمان أنو نصّ العالم ضيعت اغراضها، ما بتعرف شلون، المهم ضلينا قاعدين عم نشعل نار ونتدفا لحتى طلع الضو، قام نزلنا وصرنا جنب البحر، شفنا طريق صرنا نمشي فيه شي ساعة، هلأ كنا نشوف تكاسي نأشرلها بس ما حدا يطالعنا، قام بعدين فهمنا أنو ممنوع يطالعوا أمثالنا وإلا بياكلوا غرامة، طلبنا من شوفيرية التكاسي اللي ما بدهم يطالعونا إنو يدقوا للبوليس مشان يجوا يقبضوا علينا، ومع ذلك ما حدا إجى يقبض علينا، ضلينا عم نمشي شي ساعة تانية لحتى لقينا مطعم، قام قعدنا نفطر فيه أنا ورفيقي والعائلة السورية، السودانيين الأشقاء الشماليين ما رضيوا يفوتوا عالمطعم، قلنا له لصاحب المطعم يدبرلنا تكسي، قام راح ورجع وقال أنوما حدا بيقدر ياخدنا بالتكسي.. ممنوع، بس اتصل بالشرطة وقال:هلأ بيجوا بياخذوكم، ونحنا وعم نفطر يا معلم أجى البوليس، واحد منهم اتطلع فينا وقال: هههههه عم تفطروا كمان؟؟! قلت له: ليش في مشكلة؟، قام زوَرني ابن الحرام هديك الزوْرَة، وشحطونا عالسيارة، وأتاريلك جايبينهن واحد واحد لجماعتنا، حطّونا بأكتر من سيارة وشدوا فينا، وطول الطريق كانوا نازلين مسبات فينا، على شات أب و فاك يو.. بتعرفها هي يعني تباً لك، وأخدونا لناح الميناء، قام صار لونا أصفر كلنا، قلنا أكلنا هوا وبدهم يرجعونا على تركيا مدري على طرطوس يا معلم، وبس شافونا الشرطة هيك اصفرينا واخضرينا قام صاروا يضحكوا وكملوا طريقهم باتجاه الكامب، طلعوا الشباب عم يمزحوا معنا، مهضومين، عم يعملوا فينا كاميرا خفية، وهلأ عم بكتب لك من الكامب، صارلنا يومين هون، بكرة بيفرجوا عنا وبيبعتونا على أثينا، ومن أثينا بننقي لنا شي دولة محترمة نصير فيها مواطنين محترمين، المهم برأيك بعد كل هالبهدلة والتعتير أعطيه الشيفرة للمهرب أخو المحلوشة مشان يقبض المصاري.. والا ما أعطيه؟! ذلك هو السؤال.

فاوست سوكوروف الإنسان وهو يتمرد على سلطة القدر..

علي سفر

لم يخرج الروسي ألكسندر سوكوروف (Aleksandr Sokurov) في قراءته الجديدة لأسطورة فاوست، والتي شاهدها العالم في العام ٢٠١١، عن البيئة التي وضعها غوته في النص المسرحي، كفضاء للحدث، فالإخلاص للأصل يبدو شديداً لمعطيات الزمانية والمكانية، وكأن المسألة هنا هي إعادة إنتاج سينمائي للعمل المسرحي، فكل التفاصيل هنا تبدو متلاصقةً مع صورتها المتخيلة، وربما يعود الأمر إلى جذر القراءة، أو منهجها، إذ أن ما يتم على خشبة المسرح من إعادة إنتاج للأعمال المسرحية إنما هو إعادة قراءة، وبالتالي فهو إعادة تأويلٍ أيضاً..

لقطة من فلم فاوست ٢٠١١

فمنذ بداية الفيلم يركز سوكوروف على تفاصيل دقيقة تقود المشاهد إلى عتبة قراءته، فالدكتور فاوست(يوهانس زيالر Johannes Zeiler) المأزوم يقوم بتشريح أجساد الموتى باحثاً عن موضع الروح في الجسد الإنساني، غير أن هذا الجسد الذي نراه في صورةٍ بشعة، لا يقدم للرجل المهووس بالتفاصيل ما يبتغيه، بل إنه لا يغدو أن يكون سوى كتلٍ لحميةٍ يجب على الإنسان أن يتطهر جيداً بعد أن يلمسها..!

ولكن السياق الذي تذهب نحوه كاميرا سوكوروف، حين تركز ومنذ اللقطات الأولى في الفيلم على الأعضاء الجنسية، يجعلنا في مواجهة التصور الذي يبني المخرج عليه رؤيته، ففاوست هنا يصبح رجلاً مهووساً بجسدٍ وحيد هو جسد مارغريت (ايسولا دايشك Isolda Dychauk)، وهو يعرف أن الشيطان الذي اتخذ في الفيلم شكل المرابي (أنطوان ادسينسكي Anton Adasinsky)، لا يقدم له الخدمات مجاناً، بل هو يريد مقابلاً لها، فاللعبة مفضوحةٌ منذ بداية التماس بينهما، ففاوست يريد النقود كي يستطيع أن يأكل بعد أن أنهكه الجوع، والمرابي يعرف أن عقل فاوست تواق للحصول على الرغبة، ولهذا فإنه يقوده خارج عالمه، فيمر به إلى حيث يرى النساء وهن يغسلن الثياب ويغتسلن، وكذلك يأخذه إلى الخمارة حيث يقتل فاوست عن طريق الخطأ شقيق مارغريت..، وتبعاً لهذا التدرّج في تغيير المعطيات حول فاوست فإنه يصبح مطواعاً لرغبته، فنراه يوقّع العقد بينه وبين المرابي، رغم ملاحظته وجود أخطاءٍ في نص العقد.

قتامة التفاصيل في الفيلم تجعل المشاهد يشعر بالضيق، وكأننا بمخرج الفيلم يريد أن يرفع من مستوى العلاقة بين ما يصوره في الفيلم وبين المشاهد الذي يريد أن يتتبع رؤيته أو قراءته للأسطورة الفاوستية، مما سيؤدي حكماً إلى أن يصبح هذا المشاهد مستغرقاً تماماً في التفاصيل التي قد تتوازى مع تفاصيل الحاضر، فقتامة واقع فاوست، حيث الجوع والحروب، هي ذاتها قتامة الحاضر الذي يسيطر عليه المرابون الجدد، رجال المال والسلطة، الذين يتحكمون بالرغبات، ويجعلون الإنسان يوقع عقود الاستهلاك، والتي توقعه في عبوديةٍ جديدة، تتعدد تسمياتها، ولكنها تبقى بجوهرها متشابهة ومتماثلة.. ولهذا فإن المشاهد قد لا يستغرب وجود المراقبين لكل التفاصيل التي يقوم بها فاوست، حيث في كل زاويةٍ ثمة عيونٌ تراقب ما يحدث، ورغم أن فاوست يدرك وجودها حوله إلا أنه يتعاطى معها وكأنها راسخة في الحياة.

غير أن الاستسلام القدري الذي يفرضه سوكوروف هنا على مجريات الحكاية، وعبر الألوان التي تسيطر على لقطاته، لا يستمر طويلاً، إذ أنه يختار لفاوست نهاية مختلفة عما تقوله الأسطورة في نصها المسرحي، إذ يقوم بقتل المرابي بعد جولتهما في الطبيعة..

وهنا يجد المشاهد أمامه بعد أن يرى المقترح الذي يقدمه المخرج في قراءته الجديدة لفاوست ضمن حيز الأسئلة حول معنى ومؤدى هذه القراءة، وقد لا تصعب الإجابة على هذه النوعية من الأسئلة حين نعرف المدى الهائل الذي حاولت الأسطورة أن تُلمَّ به في أصلها حين عبرت عن رغبة الإنسان بالانعتاق عبر تحولات هذه الشخصية والتي يقول عنها غوته: «شخصية فاوست في أعلى درجاتها تأليف جديد مستخلص من الأساطير الشعبية القديمة الغليظة. تعرض إنسانا ضاق ذرعاً بالإطار الأرضي العام وتبين له أن اكتساب أعلى معرفة والاستمتاع بأجمل الخبرات هما أمران غير كافيين لإشباع أمانيه ولو لأقل درجة: إنه روح أينما تلفت عاد شقياً يائساً. وهذا الشعور مماثل للإنسان الحديث حتى أن الكثير من الرؤوس الجيدة شعرت بأنها مدفوعة الى معالجة هذه المسألة» (١)

وضمن هذا السياق نفسه، فإن لكل من تعاطى مع الأسطورة رؤيته الخاصة، وهكذا تظهر لنا رؤية سوكوروف أنه يؤشر بشكلٍ أو بآخر لأزمة الإنسان في بدايات القرن الحادي والعشرين، حيث لا سلطة تعلو فوق سلطة المال، وهذه السلطة هي من يهب الفرد السعادة أو الشقاء، فإذا كانت المعادلة تقوم على بيع الروح مقابل الحصول على الرغبة والسعادة، فإن فاوست هنا يخوض في ذات المعادلة، و لكنه في النهاية يقرر أن يقتل هذه السلطة الجائرة، التي شوهت كل القيم التي كان يؤمن هو بها، وهنا ربما تساعدنا القراءات المعاصرة لأسطورة فاوست على أن نتلمس المنحى الذي حاول سوكوروف أن يمضي به في الفيلم الذي يشكل نهاية رباعية سينمائية، حاول من خلالها مقاربة أحوال الإنسان المعاصر في هذا الزمان(٢)، ولعل من أبرز هذه المقاربات هي دراسة الألماني (هانز كريستوف بينزوانغر) التي صدرت في بداية العام ٢٠١١ تحت عنوان «الإيمان المشترك للاقتصاديين»، فالمأساة وبحسب المؤلف تقوم على العلاقة بين الإنسان وبين الاقتصاد، إذ «هكذا تتكشّف الرغبة الجامحة في العمل في المجال الاقتصادي على أنّها سعيٌ محموم للأبدية ها هنا». مطاردة الوقت الميت التي تقتل وقت الموت. إلاّ أنّ فاوست الساعي إلى السيطرة على الوقت محكومٌ بالفشل: وسيعلن مفيستو أنّ «الوقت بات هو السيّد»؛ لقد فشلت التجربة الخيميائية، وسيبقى فاوست الساعي وراء اللامحدود في مواجهة عالمٍ محدود.

وفق هذه القراءة، تبدو هذه القصيدة المسرحيّة محاولةً من غوته للتأمّل حتّى النهاية.. ولجعل مسرحيته مختبراً لنتائجها المتعدّدة. وستزاوج حكمته الشهيرة، المؤسسة لليبرالية، أنّ «الرذائل الخاصّة تصنع الخير العام»، قول مفيستو عندما يعلن بأنّه «جزء من هذه القوّة التي تسعى دائماً للشرّ ولا تنفكّ تصنع الخير». لكن ماذا يفعل فاوست، المتكئ على «قوة» إبليس، سوى تحرير غرائزه والنجاح «شيئاً فشيئاً في تكنيس كل ما يعيق تطوره»: وهو مبدأ السوق الإلهية..(٣)

ربما يكون فعل التمرد على هذه السلطة هو القول الأساسي في محاولة سوكوروف، ولكنه وكما هو واضح لم ينهِ فيلمه بها، إلا بعد أن أغرق مُشاهده وبشكل كامل في حالة من الاستسلام للمصير، ففاوست يقوم بقتل المرابي، وبالتالي فإنه يلغي الصفقة بينهما، وبطريقة غير متوقعة، بعد أن تم بناء تفاصيل الحكاية كلها على التلاصق بينها وبين نصها الأصلي، وربما يكون هذا ما منح قراءة سوكوروف ألقها، والذي جعلها تحوز على جائزة الأسد الذهبي لأفضل فيلم، في مهرجان فينيسيا للعام ٢٠١١.

وهنا علينا أن نتذكر حقيقةً تقول بأن أبرع القراءات للأسطورة، إنما تلك التي تقوم على ملاحظة الواقع، ومقاربته مع الخطاب الذي تقوله، ولعل الفكرة الفاوستية، مازالت حاضرةً وبقوة مما يجعلها قابلةً للإعادة مراتٍ ومرات، دون أن يصيب الملل المشاهد الذي يرغب في رؤية طرائق التفكير الإبداعية، وهي تنتج الجديد، من أصول الأفكار القديمة.

هوامش

١–جيته، فاوست، ترجمة وتقديم عبد الرحمن بدوي، الجزء الأول، سلسلة من المسرح العالمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الإصدار الثاني، سبتمبر ٢٠٠٨، ص ٨٤–٨٥.

٢–تشتمل الرباعية على الأفلام: (مولوخ Molokh) في عام ١٩٩٩ عن هتلر، و(تاوروس Taurus) في عام ٢٠٠١ عن لينين، ثم فيلم (الشمس the sun) عام ٢٠٠٥ عن الامبراطور الياباني هيرو هيتو.

٣–أومبرخت برنار، مسرح الأزمة، فاوست وخيمياء الرأسمالية، لوموند ديبلوماتيك، تشرين الأوّل/أكتوبر، ٢٠١١.

ديوان «سيراً على الأحلام» لرامي العاشق

صدر عن دار الأيام للنشر والتوزيع في الأردن، كتاب «سيراً على الأحلام»، وهو مجموعة شعرية للشاعر الفلسطيني السوري رامي العاشق، يضم الكتاب ٢٩ قصيدة تنتمي إلى شعر التفعيلة، وتتحدث عن الثورة واللجوء والمخيم والحصار والشهيد والاعتقال.

وقد خص الشاعر رامي العاشق مجلة حنطة بقصيدتين من قصائد الكتاب.

(أمٌّ تربّتُ فوق كتف الشاهدة)

أمٌّ تلوكُ الوحلَ
تعجنُ طينَ هذي الأرضِ
كي تأتي بزرعٍ أبيضٍ
هذي بلادٌ
لا حصادَ لها ليثمر ما توطّنَ في ترابِ رخامها ..
قرويةٌ ؟؟؟
ليست كذلك، لم تمارسْ لحظةً حبَّ الزراعةِ
خلسةً، لم تحملِ القِدْرَ الحديديَّ انتشالًا
فوق نارِ حنينها، لم تطهُ صبحًا ذكرياتِ الأمسِ
فوق النهرِ
أذكرُ أنها:
لم تنتسبْ؛ يومًا لحزبٍ، لم تصارع كي تنالَ وظيفةً
ما خاضتِ الحربَ القديمةَ
لا تميزُ بين أنواعِ السلاحِ
ولم تواجهْ في ظلامِ الليلِ غولًا يملكُ العرشَ
انتبه!
لم تكترثْ يومًا لحيتانِ اللآلئ، ليس ثمّة ما يباعُ
سوى البشاشة والأمومةْ!
اليومَ عادتْ كي تلوكَ الوحلَ
ها زرعٌ أتى
اليومَ جاءت كي تجرّبَ كيف يُزرَعُ في الترابِ
الجافِّ عمرٌ أبيضُ ..!
ها دمعةٌ تهوي لتجعلَ من ترابِ الصخرِ طينًا
أحمرًا ..
أمٌّ تودّعُ في الترابِ شهيدَها
أمٌّ تقبّلُ ما تبقّى من شفاهِ الطينِ عشقا ..
أم تربّتُ فوق كِتْفِ الشّاهدةْ
وتقول:
«روح»، سلِّمْ على الغيّاب وانتظر البقيّة!

(أسماء المخيم الحسنى)

سمّوه أرضاً أهمَلوها من تفاصيل الخريطة
كي يموت..
قامَ المخيّمُ نافضاً وحلَ الخيامِ
ليستعيرَ خرافةَ الحجرِ
انتصاراً للحياةِ
على أماني الخائفينْ..
ولربّما،
لن نستطيعَ الآنَ حملَ ملامحِ الإسفلتِ
بالأيدي المهشّمةِ انهزاماً
الآنَ يشهَقُ طينُنا..
فتعالَ كي نقف احتراماً للجذورِ
مردّدينَ نشيدَهُ..
فهو المخيّمُ:
أرضُنا، وطنٌ بهيئةِ شارعين ومخبزٍ،
وهو البلادُ المستمرّةُ لا انقطاعَ
يمزّقُ الوحيَ المشيميَّ اتصالاً بالبعيد
بحبلِهِ السرّيِّ
من جسرِ المخيّم
نحوَ تلك المقبرةْ!
وجعُ الفدائيِّ المحاصَرِ بالحدودِ وبالجنودِ
ومُخبِرِينَ ليومِ تنتشرُ الخديعةُ
كي توطّنَ ما يصدّقهُ البريءُ
ويعلنَ التلمودُ إحكامَ المنافذِ
ها هو اليرموكُ ينتصرُ احتراقاً
والخيانةُ تستعيد بيادقَ الوهمِ الغبيةْ!
حضّروا كأسَ المدافئ
ولتصلّوا ركعتَيْ نصرٍ
على جثثِ البلادْ
هذا التعرّي
قد يفيدُ لأنَّ جيلاً لا يريد عباءةَ العارِ
التي سقطتْ أمامَ رداءةِ التاريخِ
ستنتصر!!
سمّيهِ سوقاً قدْ يبيعُ الذكرياتِ
على غبارِ الأرصفة..
سمّيهِ أحمدَ
ربّما يقف الشهيدُ
مع ابتسامتِهِ السخيةِ
ساخرًا
سمُّوهُ أنتمْ
نادوهُ حفرا إن أرادَ الوردُ تحديدَ الهويةِ

دونَ شوقٍ للجذورِ
وحذّروهُ:
بأنَّ موتًا قد يعودُ
فكنْ على قدْرِ التذكّرِ
يا مخيّمَنا المعرّش في حقائبنا
المحلّق في فضاءِ الأمتعة!
اجتمعَ الطغاةُ على اجتثاثِ أصالتِهْ
لجأ المخيّمُ من جديدٍ
في بلادٍ للمشاةِ وقالَ:
(خيّا)
خذني إليكَ،
إليكَ يا أرَقَ الحنينِ
وجمّعِ التيهَ المحاصرَ بالبنادِقْ
سمّوهُ (خيّا)..
وخذوا هويّته الأخيرةَ
كي تذكّرهُ القضيةُ بالقضيةِ
ربّما..
سيعودُ أبناءُ المخيّمِ
من شتاتِ خيامِهِمْ!

غازي الذيبة ... قصائد

إلى حمص

هذا الشمال بلوزه يخضرُّ
فجرٌ حبيبٌ مقبلٌ ومكرَّ
ينمو على أحداقنا زيتونه
وينام في أحداقنا ويقرُّ
لو أنه من آخر الدنيا أتى
فيه نعدُّ قيامنا وندِرُّ
**
الماء أخضر
لم أر في حمص ماءً أسودا
ورأيت فاتحةً وآياتٍ من القرآن تمشي وحدها
في السفح
شاهدت الغزاة هنا يعدون المناقل
كي يقيسوا آخر الطرقات بالطلقات
كانوا يختفون
ويلمحون قيامهم وقعودهم
وصيامهم وعهودهم
كانوا أقل من الإغارة
لم يقيموا أودهم بالحزن
لم يتلعثموا ابداً من المعنى
أقل من النهاية وارتفاع الياسمين عن السياج
وسيذهبون
سيذهبون
وتلتقي في مفرق الطرقات حمص كلها
فنرى الأيائل وهي تركض
والسهوب مع التلال.

أغنية أولى لدمشق

دمشق ..
لم الحزن يلفح وجهك هذا الصباح؟
تركتك قبل عامٍ ترسمين وردةً على غبش الزجاج
وتكتبين اسمك بالياسمين
وترقصين مع نزار في ساحة جدي الوليد
بانتظار قدومي إلى أشجارك
لم أنت شاحبة؟
أسألك
وكل سؤالٍ غيمة..
هل شربت شايك المنقوع بالنعناع؟
هل حلمت مثل بقية المدن بضوءٍ
وأغنية
وعشاقٍ يتسكعون في باب توما؟
أنا أحبك ..
وأتكسر تحت رذاذ الشوق لأراك
كما خلقك الله
في مبتدأ السور والكلمات
أحبك اليوم أكثر
وأنا ألمح ركضك المدمى في الشوارع
أحبك لأنك حلمت بخيولٍ جديدة
تصعد التل
وتذهب إلى الغوطة هناك
حيث يرقص الفجر على التلال
أعرف أنك ترتجفين من البرد
والنفط
والشبيحة
أعرف أن صوتك العذب
نشيدةٌ أموية تركض مع خيول الفتح
كل صباحٍ لتنقّي البلاد من الحزن
والغيوم المريضة
أعرف أن أسماءك المعطرة بالحياة
ما تزال تحلم بالأمل
أعرف أن أربعين عاماً من الصمت
لم تمنع أغانيك من التسلل الى قلبي
أعرفك تماماً في وضح الآه
وتوق السهول إلى الركض مع الخيول
فاحلمي يا مدينة العشاق بالهواء
سنرسم بعد قليل ضفيرةً على أكتافك
ونعلق سراجاً منيراً في دروبك
ونذهب معاً إلى الميدان
لنؤنس الكلمات بالحياة
ثم ندق على باب بردى
ننادي عليه
نحمله على أكتافنا في الحديقة
ونسير إلى أعلى الضوء
لأنا نحبك
هكذا بدون رتوش
بريةً وحرة.

تم الدعس

علي صدر الدين حمودي

في السّنة الثّالثة من مرحلة التّعليم الابتدائيّ، وفي ظاهرةٍ استثنائيّةٍ وغير مسبوقةٍ ولم تتكرّر لاحقاً أبداً، قمنا بأول تقليدٍ ديمقراطيٍّ في حياتنا، وهو الانتخاب، فقد طُرحت تعديلاتٌ إداريّةٌ بالنّسبة للقياديين لمن هم في مرحلة طلائع البعث، وكانت منافسةً حامية الوطيس للفوز بمقعد عرّيف الصّف، وهو السّلطة الطّلابيّة العليا على مستوى صفٍّ ابتدائيّ، وكانت المنافسة والتّرشيحات على مراحل، ذلك لأنّ مركزاً كهذا لا يجب أن يُعطى لأحدٍ إلا بعد إجراءاتٍ دقيقةٍ وطاقاتٍ أمنيّة عالية، وتوخي الحذر في كلّ خطوةٍ للوصول إلى المستوى الدّيمقراطيّ الأمثل، وهذا يا أصحابي ما حصل فعلاً، وقد وصلنا إلى المرحلة الأخيرة في التّصويت، ثلاثةٌ من أصل أربعين مرشّحاً للفوز بمنصب عريف الصّف، كما قال الماغوط يوماً: «ضيعة كلها زعما، منين بدي جبلك شعب!!».

كان كلّ تلاميذ شعبتنا قد رشّحوا أنفسهم، واحدٌ فقط رُفض ترشيحه بعد أن قالت له المعلمة: «روح نضّف أنفك وقص أضافرك قبل ما تفكر تصير عرّيف.. تضرب ببوزك شو حمار».

رجع الحمار وحيداً حزيناً إلى مقعده ... ونحن أكملنا مسيرة التّطوير والممانعة، وقد قاومت المنافسة بكلّ ما أوتيت من ابتساماتٍ ونظراتٍ مليئةٍ بالحماس والوعود لرفاقي المصوّتين ..رسمنا أسماءنا على السّبّورة، وكأني أرسم اسمي على المدى.. تلك القطعة من الجدار وكأنها نافذةٌ مفتوحةٌ على النّجوم!! لم يعد لونها أخضر باهتاً محفّراً.. كأن لونها تحول إلى قوس قزح.. وكان اسمي رائع الالتفاف بالزوايا.. وعناق الحروف مع بعضها حارّاً مليئاً بالوله والغرام.. وما يزيده روعةً تلك الخطوط التي كنت أخطّها تحته كلما ظهرت بين البطاقات الانتخابيّة بطاقةٌ تحمل اسمي... لم تكن تحمل اسمي، بل كانت تحملني أنا!! سبعةٌ وعشرون صوتاً لصالحي (أي سبعة وستون فاصلة خمسة بالمئة) نتيجةٌ لم يحظَ بها قائدٌ من قبل أبداً.. لم يسبقني أحدٌ من القادة بهكذا نتيجةٍ إلا قائدنا الخالد، والذي فاز بنسبة أعلى من هذه قليلاً.. أقصد أعلى كثيراً!

بدأت الأحلام الورديّة بالمرور أمام عينيّ، كنت أحسّ أنّني أقف دون أن تلامس قدماي الأرض.. كنت أطير!! استمرت عملية الفرز حتى توزعت المناصب كلها، فهذا نائبي الذي ينوب عنّي في غيابي.. «وهذا ما لن يحصل أبداً.. هه! العريف لا يغيب!!»، وهذا أمين سرّي.. «ماذا يعني أمين السّر؟! أسرار العريف لا يجب أن تُعطى لأحدٍ أبداً، لن يعرف أي شيءٍ عنّي!!» وأولئك هم عرفاء المجموعات الطّليعيّة، كان قلبي يكاد يتوقّف من شدّة الخفقان.. هل تعرفون ماذا يعني عرّيف الصّف؟! إنّه صلاحيّاتٌ غير منتهية، يمكنه الخروج من مقعده والتّوجه إلى المدرّسة من غير إذن، ويمكنه البقاء في الصّف أثناء الفسحة في أيّام الشّتاء.. كما أنّه يجلس في المقعد الأوّل بجانب المدرّسةِ والمدفأة التي قلّما تعمل (أقصد المدفأة!)، ثمّ إنّه أوّل من يخرج للقيام بمراسم استقبال المدير وموجهي التّربية «قيام.. جلوس.. الرفيق الطليعي فلان مستعدٌّ دائماً..»، وقد يحظى بفرصة ترديد الشّعارات الصباحيّة أمام طلاب المدرسة (استاااعد.. استاااامح.. رتلن ثلاثياً عد للتلاتة..أهدافنا: وحدن وحريّن واشتركين. وأن نستحقّ عصابة الأخوات المسلمين العتيدة ..استامح:بعث*١) بالإضافة إلى الشرائط الملوّنة بالأحمر والأبيض والأخضر، وقد يتخللها لونٌ رابعٌ كالأصفر لا علاقة له بالألوان الرّسميّة، ولكن هذا اللون مُخصص لأبناء المدرّسات من العرفاء، لم أكن أعرف معنى هذه الألوان أو لماذا نُعلّقها، لم أكن أعلم لماذا نعلقها على الكتف اليسار أو اليمين، أنا سأعلقها على الكتف اليمين، لأنني سمعت أحدهم يقول أنّنا يساريّون، ولكنني لست يسارياً، فأنا أستخدم اليد اليمين في كل شيء، لذلك أردت إثبات أنني فعلاً لا أستخدم اليد اليسرى، طبعاً لم أنس شراءها أثناء عودتي إلى منزلي ها هو والدي ينتظرني، لم يعد والدي، إنه والد العريف! وعليه مراعاة ذلك، فلا قُبّل ولا عضّاتٍ على الوجنات بعد اليوم، ولا حمل على الأكتاف، كلّ هذه العواطف تقلل من هيبة العرّيف، وإن كان لابد من القيام بها، فيكفي داخل المنزل أفكارٌ كثيرةٌ تبخرت وكأنّها لم تكن عندما قفزت بين ذراعي والدي المفتوحتين وحملني وطبع قبلاته ودخل بي إلى المنزل لأبدأ بالتّبجح على من تبقى من الشّعب، أقصد أفراد أسرتي.

ليلاً وبعد سلسلةٍ طويلةٍ من الأحداث، تخلّلها غسيل المريول المدرسيّ وكيّه وتعليق ألوان مجرات الكون كلها على أحد الكتفين، وتجديد بعض الدّفاتر، وهلمّ جره، استلقيت على فراشي محتضناً قشعريرتي التي لازمتني كلما تذكّرت أني سأكون ما أريد، إنه المجد بعينه! لن تطردني المديرة من مكتبها، ولن تضربني المدرّسات إلا لأسباب قاهرةٍ جدّاً، حفاظاً على هيبة الدّولة، فكلب الوزير وزير، والعكس صحيح، وقد أحظى أخيراً بابتسامة من ابنتها (أقصد المديرة)، التي أعياني حبها، وجعلني أهيم على وجهي في ممرات المدرسة الكثيرة لأيامٍ طويلة.

ها هو الصّباح المنشود، أتوجه الى مدرستي وبرفقتي كتيبةٌ من أطفال الحارة، مسلّحين بكل ما نملك من زعتر وشيبس وصور لعلكة الكابتن ماجد، وأنا لم أكن حتى تلك اللحظة أعلم ما يخبئه القدر لي، لاحظت في عيون تلاميذ الصّف

بعض نظرات التّحذير والقلق، مالذي يجري؟! اعترتني رجفةٌ قويّةٌ جدّاً وقلقٌ شديدٌ ترافق مع الكثير من طقطقة الأصابع.. يا إلهي هل هناك أية مؤامرة ؟! ثم فجأة

–هلق هادا الخر.. صار عريف!؟

نظرت إلى صاحب الإهانة التي وجهت لي، لحظةٌ واحدةٌ فقط فصلت ما بين انتهاء جملته وطرحي أرضاً أنا وحقيبتي المدرسيّة وشرائطي الملونة، وأحلامي الطّفوليّة، وكل ما سأملك من أحزان في المستقبل، لحظة واحدة فهمت فيها كل شيء، إنّه ابن المدرّسة (فلانه) بنت (فلان)، وزوجها العميد (فلان) ابن الكلب (فلان)، لم يكن طفلاً عاديّاً، كان طفلاً برتبه عميد كوالده، وكان أتباعه أبناء أتباع والده، أطفالٌ كآبائهم ترعرعوا على التّشبيح لابن من شبّحوا هم له.. ويشبّحون، أحسست ببروده الأرض وصلابتها وتنفّست أتربتها، استسلمت تماماً للقدر، لم أحرّك ساكناً، كانت رفساتهم هي من تحركني، أنا لم أكن أفعل شيئاً، فقط كنت حزيناً جدّاً، هه.. تبّاً لكلّ شيء.. كيف لم أنتبه إلى أنّ ابن الكلب كان حاقداً على نتيجة التّصويت بعد أن حصل على أصوات أتباعه فقط، بينما أنا كنت.. كنت لا شيء!! ولن أكون شيئاً أبداً، نعم لن أكون شيئاً بعد أن انتهت المعركة بـ(دحش) الشّرائط الملوّنة في فمي بعد نتفها عن كتفي، والدّعس على (شاربي) الذي لم يرَ النّور بعد، ونظرات الأسى من بنت المديرة التي طالما حلمت بها، والتي لمحتها وأنا تحت حذاء المتنمّر الصّغير، لن أكون شيئًا بعد اليوم، لم أعد العرّيف، وأبي لم يعد والد العرّيف، وأخي لم يعد أخو العرّيف، أصبح أخو (القحـ..)، هكذا قال لي ذالك الفتى، نعم أخو (القـ..) ما أنا عليه الآن لأني فقط بعقلي الطّفوليّ اعتقدت أنني سأغيّر العالم بثلاث شرائط ملوّنه عرفت لاحقاً أنها ترمز لأفكار منظّمة طلائع البعث، رديفة حزب البعث العربيّ الاشتراكي.

***١: كانت الشّعارات في مدارس سوريا عسكريّةً بحته، وتنتهك كلّ معايير حقوق الطّفل عبر التّاريخ، وقد كنّا نرددها من دون أن نفهم معناها، ومن دون أن نلفظها أصلاً بلفظها الصّحيح .. (استعد.. استرح .. رتلاً ثلاثيّاً رتلاً ترادف ..أهدافنا : وحدة وحرية واشتراكية، وأن نقضي على عصابة الأخوان المسلمين العميلة، رفيقي الطّليعيّ كن مستعدّاً دائماً لبناء المجتمع الاشتراكيّ الموحد والدّفاع عنه: مستعدّ دائماً .. استرح:بعث!!)**

أنت.. أنا وأذان فجرٍ ندمنه

وفا مصطفى

في الحزن السابع والثمانين بعد المئة:
تؤلمني كل نوافذ هذا العالم الواسعة..
يحاصرني المشهد ذاته كل مرة
«أنت، أنا، وصوت آذان فجر ندمنه»
لا قلبي يتسع لكل هذا الغياب أبي
ولا أصابعي تكفي لانتظاره..
في الطريق إلى المنفى، ثلاثة أبواب محايدة للذاكرة.
أقف بدهشة قتيل أمام آخرها
اسمي بيدي
وروحي على الورق «اثنان وتسعون»..
هذا رقمي الذي لم أختره.

أدخل غرفة الغرباء الصغيرة وأجلس..
صمت وبعض كلمات عادية..
ثم يقرر ذو الابتسامة البلهاء أن يذبحنا بالسؤال
«:لماذا لم يأت الوالد معكم، خلافات عائلية؟»
ضحكة هيستيرية تخنق المكان ثم بكاء
أجلس قرب النافذة الواسعة
أرسم صوتك على برد الزجاج فأسمعك..
أكتبُ لي عن العشق والخذلان
وأحدثني عن قبح العتمة والزنزانات
أتعب..
ثم أتكئ على كتفي، وأحلم..
آخذ لنا مقعدين اثنين، علني أهزم هذا السفر..
ألا نتشارك الطريق، أبي؟
كل الأغاني تصلح للحزن في غيابك أبي..
كل المدن تصلح لانتظارك..
أتذكر تلك الصورة؟
يجلدني صوتك والابتسامة أحزن
ثم أفرح.. ألا نتشارك الألم أيضا؟

الحصاد

جود الحمصي

أول من باح بها أصابع صغيرة على جدران السجون المدرسية، والبوح بالحقيقة شديد الإيلام، هي خطوةٌ ليس بالإمكان التراجع عنها، فكل ما يحيط بنا ويجري حولنا يرغمنا على المضي إلى قدر الثورات، إلى حيث ما لم نتوقع، إلى لعبة أكبر وأشرس من طفولة الجدران.

كيف يمكن لكلماتٍ على جدران مدرسةٍ في درعا أن تواجه الحديد والنار حيث تلونت الشوارع بالدم، حيث تُسحق الإنسانية في عتمة السجن، حيث تُغرس أوتادٌ لخيمة،حيث تخنق المآذن وتبتر أجراس الكنائس؟ وما زالت صامدةً فهي كلمات لها أرواح، كيف للحرية أن تلهب الحناجر إذ طعنتها سنوات العبودية بالخناجر؟

حريةٌ افتداها الصغار ببراءة الطفولة، والأحرار بأرواحهم في الساحات، والثوار بنضالهم على الجبهات، حرية قاتلنا على ثغورها الأمامية النظام الأسدي وعلى ثغورها الخلفية النظام الداعشي، فالرباط الرباط.

من ثورةٍ عاش ومات على كلماتها المخلصون، إلى ثروةٍ يعيش ويموت على استئصالها المارقون والمتسلقون على الثورة، كما سرق الفاسدون من الثورة طهرها كذلك سرق مدعي الإسلام الدين من أهله ونسبوه إليهم وتراكض على درب الغربان عميان، أيا ثورةً مات دونها رجال وشاخ على قرع طبولها أطفال.

لطالما داعبت مشاعرنا الكلمات، فنحن شرقيون والأدوار بين القلب والعقل قد قُلبت، فنغتال بشار وزمرته ملايين المرات بالشتائم، ونحاصر قصره بالوعيد، ونحرر مدننا بالتكبيرات التي تخرج من أفواهنا وتلامس الثروات دون أن تلامس قلوبنا، ودون أن ندرك نغتال حريتنا عندما نعيشها بقشورها دون جوهرها، عندما نمجد شهداءنا بدموعٍ لا تروي عتب دماءهم، إن كان بشار قتل الشهداء مرةً فنحن نقتلهم مراراً وتكراراً كلما تقاسمنا مستقبل أبنائهم سراً مع قوى الظلام.

سوريا.. يا وطناً ينتظر النور منذ عقود.. يا وطناً زرع الأرض شهداء.. فمتى الحصاد؟!!

تأملات ضائعة

غياث عبد العزيز

تدينُ لي الأرضُ بالعمرِ
ثلاثون عاماً
وبعض القصائدِ
يحرمني العمر من سدادها
حبيبة تنتظرْ
وأرضٌ
ستنتصرْ..
***
القادمُ سرب حمامٍ
لا أدري أي دمٍ من طفلٍ يحكي
جرحه
خلف جبال الدفء

رأى دمعة قبّرةٍ
فبكى
وأبى إلا أن يترك أرض الموت
أن يترك وحش القصر
وأتباع دماء المنكسرين..
***
الرصاصة التي قتلتني
رأت دمعتك
وندمت..
هل ينفع ندم من عبدٍ مأمور؟؟
***
قاتلتُ الفكرةَ والمبدأ

قاتلني وطني
وقتلني..
***
لا درب يحملني إلى هناكْ
لا شمس ترسمُ خيط ضوءْ
لا وسادةَ لخواطري
لا دفترَ يحضنُ قلمي المنهكْ
أيتها الحبيبة النقية دائماً
أعيريني يوماً بقربكِ
وزيدي صفحة ديوني واحداً..

رئيس التحرير: ناجي الجرف
مديرة التحرير: بشرى جود
المدير الفني: بحر عبد الرزاق
المدير الإداري: جمال حسون

حنطة
مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر
www.hentah.com
hentah.magazine@gmail.com

هيئة التحرير
ثابت اسماعيل
جمال الجميلي
جنان علي
خضر سليمان
عروة محمد
عمر الأمين

خالد مامك
i'm syrian